خطب الأئمة عن: حُسْنُ الْخَاتِمَةِ بَيْنَ الِاجْتِهَادِ وَالتَّوْفِيقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله إمام النبيين

وبعد

فهذه خطب الأئمة عن " حُسْنُ الْخَاتِمَةِ بَيْنَ الِاجْتِهَادِ وَالتَّوْفِيقِ "

وفقني الله تعالى لجمعها ووضعها في ملف واحد من غير تعديل في محتوى أي خطبة لتكون زادًا ينتفع به المسلمين، وعلى كل قارئ ان يتبين بنفسه صحة الآيات والأحاديث والقصص الواردة فيها والله أسأل أن يجعل ذلك العمل خالصًا لوجهه، وأن يجعله في ميزان حسناتنا جميعًا.

لتصفح الخطب بسهوله اضغط على عنوان الخطبة ستفتح مباشرة بإذن الله

-1	حسن الخاتمة للشيخ احمد أبو عيد	2
-2	حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق د/ خالد بدير	22
-3	حسن الخاتمة بين الاجتهاد والترفيق للشيخ / محمد حســـن داود	30
-4	وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين للشيخ أبو سيف الأزهري	35
-5	حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق للشيخ فوزي محمد أبو زيد	42
-6	العلم ميراث النبي للشيخ أحمد محمد أحمد أبو إسلام	48
-7	حُسْنُ الْخَاتِمَةِ بَيْنَ الِاجْتِهَادِ وَالتَّوْفِيقِ للشيخ محمد سعيد	58
-8	حُسن الخاتمة عبرة وعظة للشيخ ماهر خضير	67
-9	الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق للشيخ السيد طه	70
-10	السبيل إلى حُسْنِ الخاتمة د/ عادل هنيدى	82
-11	تزكية النفوس المؤمنة بأسباب حسن الخاتمة للشيخ السيد مراد سلامة	89
-12	أسباب حسن الخاتمة وسوئها للشيخ بركات سيد احمد محمد	98
-13	حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق لوزارة الأوقاف	105

حسن الخاتمة للشيخ احمد أبو عيد

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والأخرين وقيوم السموات و الأراضين، لا مغيث غير الله، و لا ناصر إلا الله و لا مفرج لهمومنا و غمومنا إلا الله فإذا ضاقت بك الدنيا فقل يا الله إذا تنكر لك الخلق فقليا الله إذا اعتقدت أنك هالك فقليا الله إذا مرضت فقل يا الله إذا نمت على فراش الموت فقل يا الله إذا دخل عليك ملك الموت فقل يا الله

وأشهد أن لا إلاه إلا الله حده لا شريك له

يا صاحب الهم إن الهم منفرج *** أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه *** لا تيأسن فإن الكاشف الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته *** ما لمرء حيلة فيما قضى الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة *** لا تجزعن فإن الصانع الله

وإذا بليث فثق بالله وأرض به *** إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله مالك غير الله من أحد *** فقل في كل أمرٍ حسبي الله

واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله

عذرا رسول الله إن قصرت في ** وصف فإن جمالكم لن يــوصفا

جاءت قديما ذره من نوركم ** قد جمل الرحمن منها يوسف

والله لو جد العباقر كلـــــهم في ** وصف أفضـــال له لن تعرفا

والله لو ماء البحار بجـــــمعها ** كان المداد لوصف أحمد ما كفى

والله لو قلم الزمان من البداية ** إلى النهاية ظــل يكتب ما اكتفى

والله لو قبر الرسول تفــجرت ** أنـــــــواره للبــدر ولى واختفى

يكفيه لقياً في السمـاوات العلى ** وبحضـــرة المولى الجليل تشرفا

يكفيه أن البدر يخســـف نوره ** لكن نور نبينا لن يخسفا

العناصر

أولًا: الترغيب في العمل لحسن الختام

ثانيًا: وسائل مُيسِّرة لحسن الخاتمة

ثالثًا: حال السلف الصالح

رابعًا: علامات حسن الخاتمة

خامسًا: نماذج على حسن الخاتمة

الموضوع

حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله) قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته) " [1]

أولًا: الترغيب في العمل لحسن الختام

الحث على التقوى للموت على الإسلام

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آل عمران: 102].

وصية الأنبياء

قال الله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [البقرة: 132]

من صفات أولي الألباب

قال تعالى: (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ) [آل عمران: 193]

العمل الصالح سبيل لحسن الخاتمة

---

[1] () صحيح الترغيب والترهيب

قال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا) [طه: 112]، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: 143].

قال تعالى: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون) [الأنعام: 48].

القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن

عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء" [2] والمقصود أن يعيش العبد بين الخوف والرجاء مهما عمل الخيرات يعتقد نفسه مقصرًا، وألا يأمن مكر الله ويبقى يخاف على نفسه إلى آخر لحظة من حياته، وإذا ما حصل هذا وما عاش بهذه النفسية لا يستقيم حاله، تصور لو واحد يعيش على أنه خلاص ما دام على هذه الأعمال الطيبة، فإنه جازم لنفسه بالجنة، أصلاً ما يستمر عليها، بهذه النفسية ما يستمر عليها، فهو يرجو رحمه ربه أن الله لن يضيع أجره، وهذ الاعتكاف والصيام وقراءة القرآن، والأدعية والأذكار، وبر الوالدين والصدقات، لن تذهب هباءً منثورًا: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: 30]، {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة: 120]، لكن لا يمكن أن يجزم لنفسه أن سيموت على ذلك، ممكن يموت على غيرها، فهو يخشى من سوء المصير، وكلما زادت خشيته من سوء المصير ازداد ثباتًا ويقينًا وعبادة، وهكذا.. وابتعد عن السيئات، وأهل السوء، يخشى على نفسه.

الأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة

قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: 30]، وقال تعالى: (ظَهَرَ

الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم.

---

[2] () صحيح سنن ابن ماجة

من عاش على شيء يموت ويبعث عليه

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات على شيء بعثه الله عليه" [3] لقد أجري الكريم بكرمه أن من عاش على الطاعة مات على الطاعة ومن عاش على المعصية مات على المعصية فالسابقون السابقون فعلي قدر السبق هنا يكون السبق هناك. السابقون في الدنيا إلى الطاعات والصلوات هم السابقون في الآخرة إلى الجنات ، فكم سمعنا عن أناس من اسلافنا ماتوا على طاعة، فمنهم من مات ملبيا، ومنهم من ساجدا، ومنهم مؤذنا بل وفي زماننا وفي وقعنا هذا شيخنا الشعراوي مات وهو يردد لا إله إلا الله ، والشيخ عبد الحميد الشهاوي مات وهو يردد ولمن خاف مقام ربه جنتان، والشيخ كشك قال لقد عرضت على المناصب فأبيت ورفضت وسألت الله أن أموت ساجدا وقد مات رضي الله عنه ساجدا، والشيخ محمد عطية مات وهو يقرأ قوله تعالى فاستقم كما أمرت. الله أكبر علي هذه الخواتيم وفي حديث قاتل المائة رجل قتل مائة نفس ولكنه لما أقبل إلي الله وتاب تاب الله عليه.

الاستعداد للخاتمة من وسائل النجاة ، وهما استعدادان :

1- استعدادٌ في صلاح القلب : وذلك بالعلم النافع الذي يُورِثُ في القلب العلم بالله عز وجل ومعرفته وأسمائه وصفاته وبيقين في ذلك .

2- استعدادٌ في صلاح العمل يعني : يمتثل الأمر ، ويجتنب ما نَهَى الله عنه ، أو نهى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون العمل خالصاً صواباً ، خالصاً لله ، ووفق منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يستغفر من الذنوب والخطايا .

فمن داوم على ذلك ولزم طريق الاستقامة مات بإذن الله على خاتمة حسنة .

ونحن في هذه العجالة بصدد الحديث عن علامات حسن الخاتمة ، أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن حسنت خاتمته ، وقبل عمله ، وأجاره الله من عذاب القبر ، وعذاب النار . قال العلامة المحدث الشيخ / الألباني رحمه الله : " إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها

---

[3]() السلسلة الصحيحة

على حسن الخاتمة _ كتبها الله تعالى لنا بفضله ومنه _ فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له ، ويا لها من بشارة " .

الأعمال بالخواتيم

فابدأ يومك .. ابدأ شهرك .. ابدأ عامك .. بطاعة واختمه بطاعة، فالبدايات والخواتيم عليها مدار الفوز والخسارة .. ابدأ يومك بصلاة فجر أو قيام سحر، واختمه بنوم على سلامة صدر وطهارة بدن، ابدأ عامك الهجري بطاعة واختمه بطاعة؛ فلو كان أول سطر في صحيفتك خيرا وآخر سطر فيها خيرا لمحا الله لك ما بينهما، وأنا أستبشر هنا ببشارة حبيبنا صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ؛ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ؛ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ" (مسلم).

وإذا كان كتاب عمرك أول سطر فيه أذانٌ قرع أذنك عقب ولادتك، فاستبشر بأن يكون آخر سطر فيه إن شاء الله كلمة التوحيد ينطق بها لسانك، لتكون جواز عبورك إلى الجنة.

سارع بالعمل الصالح قبل فوات الأوان

قال تعالى: "يوم يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبرزت الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)" النازعات

وعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ

الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »[4]. من أجْل دراهم معدودة، أو عروض سخيَّة، أو دنيا فانية، سرعان ما يُغيِّر ما كان عليه من

[4]() صحيح مسلم

استقامة وهدًى وصلاح، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وينقلب على عَقِبيه؛ ولذا قال الله لعباده: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

حكم شرعية في عدم معرفة العبد لخاتمته: وتغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة، يعني لو قال واحد: لماذا غيب الله خواتمنا عنا؟ ولماذا لم يُخبر كل واحد بما يختم له؟

فنقول: هذا تدبير لطيف من رب العالمين؛ لأنه لو كان ناجيًا سيكسل ويصاب بالعجب، وإن كان هالكًا ازداد عتوًا ونفورًا، ولذلك كان من رحمة الله إخفاء الخواتيم، ولأن الإنسان لا يصلح حاله إلا إذا صار بين الخوف والرجاء، فإذا صار في الخوف فقط أيس من رحمة الله لا يصلح حاله، وإذا كان في الرجاء فقط يعتمد على رحمة الله لا يصلح حاله، حتى يكون بين الخوف والرجاء، قلت لابن المبارك يقول حفص بن حميد: "رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلمًا، فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا" -يعني أنا أفضل من هذا القاتل-، فقال: "أمنك على نفسك أشد من ذنبه"[5]؛ لأنه لا يدرى فقد ينقلب هذا ويتحول ويعمل شيئًا أسوأ من القتل، وإذا كان يجزم لنفسه أنه أحسن من هذا، والله عز وجل قد يغفر لهذا حتى القتل، وهذا يؤاخذه على عجبه بنفسه.

ثانيًا: وسائل مُيسِّرة لحسن الخاتمة

الاستقامة :

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فصلت

الايمان:

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} [إبراهيم: 27]، فأخبر أنه يثبت عباده المؤمنين الذين قاموا بما عليهم من الإيمان في القلب الذي يصدقه العمل الجوارح، فهؤلاء يثبتهم الله {بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}، ومعنى ذلك: أن لهم حسن خاتمة.

---

[5]() فتح الباري، لابن حجر

التقوى:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، ووعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم فرجًا مخرجًا، قال: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: 2]، وهذا أحوج ما يكون إليه العبد عند نزول الموت؛ فإنه يريد الفرج والمخرج من هذه المحنة، محنة الموت، وسكرات الموت، والشدة والحرج في الموت: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: 4]، ولا شك أن تيسير أموره عند الموت من نتائج التقوى التي كان يسير بها منهجًا في حياته.

حسن الظن بالله :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)) [6] لكن حسن الظن بالله يجب أن يكون مبنيًا على أعمال صالحة، وتوبة من الأعمال السيئة، حتى يكون حسن ظن صحيح، الواحد يقول: والله أنا ظني بربي إنه يدخلني الجنة، وأنا ظني بربي أنه إنه ما يدخلني النار، وإنا ظني.. وإذا نظرت إلى عمله تجد يعني السيئات الكثيرة، والحسنات القليلة.

الصدق : قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة.

المداومة على الطاعات

ذكر الموت وقصر الأمل

الخوف من أسباب سوء الخاتمة : كالإصرار على المعاصي وتسويف التوبة وحب الدنيا .

التوبة: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ} [التحريم: 8]، فإذا صارت التوبة نصوحًا، ومات الإنسان عليها، فهذا من علامات حسن الخاتمة، والتوبة النصوح هي: ألا يعود في الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع، واللبن إذا خرج من الثدي لا يمكن أن يعاد فيهن و{تَوْبَةً نَّصُوحًا} تنصحون بها

---

[6]() متفق عليه

أنفسكم، استغفار باللسان، وإقلاع بالأبدان، وإضمار وترك العود بالجنان، وهو القلب، وهجر سيئ الإخوان، هذه التوبة النصوح.

الدعاء:

هو سلاح المؤمن والمجاهد لا يدع سلاحه حتى تنتهي المعركة و معركتي و معركتك مع الشيطان و لا تنتهي بالظفر و الانتصار حتى يختم للعبد بخاتمة السعادة لذا فالمؤمن لا يفتر لسانه بالدعاء فها هو حبيبك صلى الله عليه وسلم كان لا يفتُر لسانه عن هذا الدعاء فعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ ، قَالَ : قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رَضِيَ اللهُ عنها ، يَا أُمَّ المؤمِنِينَ ، مَا كَانَ أكْثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قالت : كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ : ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) [7] .

لزومُ هَدْي النبيِّ ﷺ

واتِّباعُ طريق المهاجرين والأنصار والتَّابعينَ لهم رضي الله تعالى عنهم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: 21]، وقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 100].

الخوف والرجاء

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف " [8].

ثالثًا: حال السلف الصالح

عمر بن الخطاب- رضي الله عنه – يقف عند الجمرات في آخر حجة حجها ودعا الله بقلب صادق، وقال: " اللهم ضاعت رعيتي، ورق عظمي، وشاب رأسي، ودنا أجلي، اللهم

---

[7] () صحيح سنن الترمذي
[8] () صحيح سنن ابن ماجة

فاقبضني إليك غير مفرط ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك ".سفيان الذي سجد سجدة، والناس يطوفون حول الكعبة

عثمان بن عفان – رضي الله عنه - إذا ذكر القبر بكى حتى يجلس، فعَنْ هَانِئٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ ، قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَلاَ تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، قَالَ : " إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ "[9] فالقبر منزل -والله- موحش، لا صديق، لا حبيب، لا زوجة، لا ولد، إلا العمل الصالح، تركوا ما تركوا، واستجوبوا فما نطقوا، وودعوا فإما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. مرارًا، ثم رفع رأسه، رآه رجل قد طاف مرارًا وسفيان لا زال ساجدًا، وهو الذي إذا كان صلى بالليل اضطجع على ظهره وأسند رجليه على الجدار، حتى يرجع الدم من طول قيامه: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته قائمًا لله: يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟" .

قال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء: الأول: خطر يوم الميثاق حين قال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان. والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث فنادى الملك بالشقاوة والسعادة ولا يدري أمن الأشقياء يعني كتبه الملك، كتبه في الأشقياء وإلا في السعداء، والثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدري يعني عند الموت يبشر برضا الله أم بسخطه. والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتًا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به.

كان بعض السلف يخشون على أنفسهم النفاق الأكبر، وليس فقط النفاق الأصغر؛ لأن دسائس السوء الخفية، توجب سوء الخاتمة.

---

[9]() صحيح سنن ابن ماجة

وكذلك ورد في سير بعض العلماء، يعني من اجتهادهم بالطاعة، وملازمتهم لها أنه قيل لو أراد أن يعصي الله ما استطاع، يعني لو أراد يعمل المعصية يفشل ما ينجح.

العماد المقدسي رحمه الله قال عنه ابن قدامة: "من عمري أعرفه -من عمري، من زمان- يعني العماد ما عرفت أنه عصى الله معصية"، ولا مرة، ما مسكنا عليه معصية، فلما جاءه الموت كان يقول: "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهد" [10].

أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله دخل عليه عطاء بن السائب وغيره، يعودونه في المرض الذي مات فيه، فذهب بعض القوم يرجيه، يعني يذكره بحسن الظن بالله، فقال أبو عبد الرحمن: "إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان"[11] فهو يطمئنهم أنه الآن في هذا الموطن هو محسن الظن بالله، وما هو أساس الاعتماد أن في ثمانين رمضان صامها لله تعالى؟

قال عبد الأعلى بن حماد البرقي: "دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت، فرأيته مستبشرًا، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين، وأقدم على رب العالمين ولا أفرح؟!". [12]

وكانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن الظن بربه، ولذلك لا بدّ أن يعمل الإنسان محاسن، يعني أنت حتى لو أردت أن تثبت شخصًا عند الموت، فتقول له مثلاً: يا أخي ألم تفعل كذا؟ وتفعل وكذا؟ فإذا ما عنده أشياء طيبة فعلها، فتذكره بماذا؟ ولذلك فإن حسن الظن قرين بحسن العمل.

أبو البركات إسماعيل النيسابوري رحمه الله من شيوخ الحافظ ابن عساكر كان وقورًا مهيبًا على شاكلة حميدة، ما عرفت له هفوة، قال ابن النجار: سمعت ابن سكينة يقول: كنت حاضرًا

---

[10]() سير أعلام النبلاء
[11]() حلية الأولياء
[12]() بهجة المجالس وأنس المجالس

لما احتضر، فقلت له، أو فقالت له أمي: يا سيدي كيف تجد؟ فما قدر على النطق، فكتب بأصبعه: رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، ثم مات [13].

والإمام الزاهد الخير شيخ الإسلام أبو الوقت؛ كما قال الذهبي رحمه الله كان صالحًا كثير الذكر، لما احتضر كان آخر كلمة قالها: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} [يس: 26 - 27]، [.

لقى الفضيل بن عياض رجلا ؛ فقال له الفضيل : "كم عُمُرك ؟ قال الرجل : ستون سنة، قال الفضيل : إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل : هل تعرف معناها؟ قال : نعم أعرف أني عبدالله وأني إليه راجع، فقال الفضيل : يا أخي ، من عرف أنه لله عبد ، وانه إليه راجع ، فليعلم أنه موقوف بين يديه ، فليعلم انه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا، فبكى الرجل وقال ما الحيلة، قال الفضيل : يسيرة، قال وما هي يرحمك الله ؟ قال : تُحسن فيما بقى ، يغفر الله لك ما قد مضى وما بقى فإنك إن أسأت فيما بقى أُخذت بما مضى وما بقى "

قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وألبس من حليها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج أغلالها قال: فقلت لنفسي: أي شيء تريدين قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قال: الآن أنت في الأمنية(يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فاعملي .

رابعًا: علامات حسن الخاتمة

النطق بالشهادة عند الموت

فعن معاذ - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ))[14]

---

[13]() سير أعلام النبلاء

[14]() صحيح سنن أبي داوود

وعَنْ أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ " [15]

وينقسم التلقين إلى قسمين :

القسم الأول : تلقين أثناء الاحتضار : وهو السنة ، ويكون برفق ولين ، وذلك بذكر الشهادة عند الميت حتى يتذكرها ويقولها ، بدون أمر له بذلك ، لأنه ربما يعاند ولا يقولها ، وربما كفر بها عند الموت والعياذ بالله .

وقال بعض العلماء : ذكره بأعماله الصالحة ، حتى يتذكرها ، ويحسن الظن بربه .

القسم الثاني : تلقين بعد الدفن : وهو بدعة لا أصل لها ، لأن من لم يحيا على لا إله إلا الله ، فلا ينفعه أن يلقنها بعد موته ، لأن القبر دار حساب ، لا دار عمل ، فمن الناس إذا مات له ميت ، وقف على قبره وقال : يا فلان ابن فلان تذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، أنك تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن دينك الإسلام ، أو ما شابه ذلك ، وهذا أمر ليس عليه دليل يُعتمد عليه ، فعليه فهو بدعة لا أصل لها .

الموت برشح الجبين

أي : أن يكون على جبينه عرق عند الموت، لما رواه بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (موت المؤمن بعرق الجبين) [16]

الموت ليلة الجمعة أو نهارها

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر" [17]

الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله

أو موته غازيا في سبيل الله، أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقاً، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ « إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِى إِذًا لَقَلِيلٌ ».

---

[15] () صحيح مسلم
[16] () صحيح سنن ابن ماجة
[17] () صحيح الجامع

قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَنْ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ ». قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ « وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ » [18].

الموت بسبب الهدم

عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ : المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللهِ)) [19]

موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به

ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: (والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة) [20] يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

المطعون والمبطون والغريق والحريق وصاحب ذات الجنب

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ " [21]

الموت رباطا في سبيل الله

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ »[22] . ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود براً وبحراً وجواً على اختلاف مواقعهم إذا احتسبوا الأجر في ذلك .

الموت على عمل صالح

---

[18] () صحيح مسلم
[19] () متفق عليه
[20] () صحيح الترغيب والترهيب
[21] () صحيح الترغيب والترهيب
[22] () صحيح مسلم

عن حذيفة رضي الله عنه قال أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدري فقال من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوما ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة" [23]

البشرى

وهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى، كما قال جل وعلا: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وفي قبورهم، وعند بعثهم من قبورهم.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، أكَراهِيَةُ المَوتِ ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ ؟ قال : ((لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) [24].

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام : (ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة)، وقال : (ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قوما بحب الحياة فقال: (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة واطمأنوا بها) يونس.

وقال الخطابي: (معنى محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهية بضد ذلك)

وقال الإمام النووي رحمه الله: (معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه)

---

[23]() صحيح الترغيب والترهيب

[24]() صحيح مسلم

الموت ليلة الجمعة أو نهار الجمعة

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر " [25] فإذا قبض الله عبدًا من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلا ظنيا، من المبشرات والمؤشرات لسعادته، وحسن مآبه، يعني يرجا له الخير، ونحن لا نجزم، نقول: مائة في المائة، قد غفر له، ولكن نرجو، نقول: هذا بشارة، هذا خبر طيب، وهكذا يكون هذا من علامات حسن الخاتمة.

الثناء على الميت بالخير

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: " مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، مَا وَجَبَتْ قَالَ: هذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ" [26]

* واعلم أخي الكريم أن ظهور شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت، لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن يستبشر له بذلك، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح أو

نحو ذلك. فهذا كله من الغيب.

خامسا: نماذج على حسن الخاتمة

أنس بن النضر

عن أنس - رضي الله عنه - ، قَالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - رضي الله عنه - عن قِتَالِ بدرٍ ، فَقَالَ : يَا رسولَ الله ، غِبْتُ عَنْ أوّل قِتال قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ ، لَئِن اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشركِينَ لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ . فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمونَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يعني : أصْحَابهُ - وأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - - يَعني : المُشركِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ ، فَقَالَ : يَا سعدَ بنَ معاذٍ ، الجَنَّةُ وربِّ الكعْبَةِ إنِّي أجِدُ

---

[25] () صحيح الترغيب والترهيب

[26] () صحيح مسلم

ريحَهَا((2)) منْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سعدٌ : فَمَا اسْتَطَعتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ ! قَالَ أنسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمانينَ ضَربَةً بالسَّيفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكونَ فما عَرَفهُ أَحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أنس : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أن هذِهِ الآية نزلت فِيهِ وفي أشباهه : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ } [الأحزاب : 23] إلَى آخِرها " (27)

أحد الأعراب

وعن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك؟ فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كان غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له" يعني ليوصلوه إليه نصيبه من الغنيمة "وكان يرعى ظهرهم" الأعرابي يرعى دواب أصحابه، "فلما جاء دفعوه إليه" لما رجع من الرعي أعطوه نصيبه، قال: "ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: ((قسمته لك)) قال: ما على هذا اتبعتك" احنا ما تبعناك على أموال، تبعناك على الجهاد في سبيل الله "ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة"، طبعًا هذا ادعاء، الميدان يصدق أو يكذب، قال: ((إن تصدق الله يصدقك)) فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار" سبحان الله! كان ممكن السهم يجي في أي محل، لكن جاء في المكان الذي أشار إليه هو أنه يريده ها هنا، طبعًا لماذا ها هنا؟ معناه أنه مقبل غير مدبر؛ لأنه لو كان في الظهر كان ممكن جاءته وهو مولي الأدبار، لكن هو يريد ها هنا، وقد قال بعض المجاهدين في هذا الزمان: أنه يريد ها هنا، وجاءت ها هنا فعلاً، في قلبه، يعني اقتداءً بحديث الأعرابي، لكن الشاهد الصدق قال: ((إن تصدق الله يصدقك))، فلما أتي به إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقد أصابه سهم حيث أشار، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((أهو هو؟)) قالوا: نعم، قال:

---

[27]() متفق عليه

((صدق الله فصدقه))، ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: ((اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك، فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك)) [28]

عبد الله بن جحش رضي الله عنه

فإنه يوم أحد، قال لسعد: ألا تأتي ندعو الله؟ فخلو ناحية، وقال ذلك تلك الأمنية، وقد تقدم ذكرها: "اللهم ارزقني غدًا رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، فأقاتله ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت لي: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت" هنا الشاهد، قال سعد: "كانت دعوته خيرًا من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط".

فضالة بن عبيد

هذا عمل صالح عظيم، قال القاسم أبو عبد الرحمن: "غزونا مع فضالة بين عبيد، فبينا نحن نسرع في السير، وهو أمير الجيش، وكان الولاة حينها يسمعون ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيها الأمير إن الناس قد تقطعوا قف حتى يلحقوا بك، فوقف، في مرج عليه قلعة، فإذا نحن برجل أحمر ذي شوارب، فأتيناه به فضالة، فقلنا: إنه هبط من الحصن بلا عهد"، هذا جاء من حصن العدو ما بيننا وبينه عهد، فسأله، فقال: "إني البارحة أكلت الخنزير، وشربت الخمر، فأتاني في النوم رجلان، فغسلا بطني، وجاءتني امرأتان فقالتا: أسلم، فأنا مسلم"، الآن هذا رجل كافر صادفه هؤلاء المسلمون في الغزو، نزل من حصن العدو، فألقوا القبض عليه وأخذوه: ما بك؟ ما الذي أخرجك من حصنك؟ قال: أمس شربت الخمر، وأكلت خنزير، ونمت، ورأيت في المنام من غسل بطني، وقال لي: أسلم، قمت من النوم قلت: أسلمت، وأنا مسلم، فأنا نزلت إليكم أقول لكم: أنا مسلم، يعني أيش الخطوة التي بعدها؟ تأثر بالمنام وأسلم، قال: "فما كانت كلمته، يعني كلمة: أنا مسلم، فما كانت كلمة أسرع من أن

---

[28]() صحيح الترغيب والترهيب

رمينا بالزبار" قطع الحجارة والحديد، "فأصابه فدق عنقه" مات مباشرة، فقال فضالة: "الله أكبر عمل قليلاً، وأجر كثيرًا، فصلينا عليه ثم دفناه" .

بعض العمال من الفلبين

جاء إلى قسم توعية الجاليات، وسمع الكلام، ورغب في الإسلام، ونطق بالشهادتين يوم الأربعاء، وعلموه بعض محاسن الإسلام الصلاة تعليمًا مبدئيًا أوليًا، وسأل عن العبادات، قالوا: الصيام، قال: أريد الصوم، قالوا: في رمضان، قال: طيب هذه عبادة؟ قالوا: يشرع الاثنين والخميس، فصام الخميس، بعد الأربعاء الذي أسلم فيه، ثاني يوم الخميس، فمات يوم الخميس، وهو صائم.

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية

عن الشيخ علي البكَّاء، وكان مشهورًا بالصلاح والعبادة وإطعام المارة والزوار والضيوف، قال: إنه صحب رجلاً من بغداد، وإن هذا الرجل الذي خرج معه من بغداد قد حضره الموت، فاستدار إلى جهة الشرق، فحوله إلى القبلة فاستدار إلى الشرق، قالوا: حيث قبلة النصارى، فإنهم يستقبلون الشرق، قال فحولته أيضاً ففتح عينيه، وقال: لا تتعب، فإني لا أموت إلا على هذه الجهة، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات، فطبعًا المسلمون انزعجوا، يعني هؤلاء خرج واحد معهم من بغداد على أنه مسلم، ثم قال: فحملناه فجئنا به إلى دير هناك، فوجدناهم في حزن عظيم، فقلنا لهم: ما شأنكم؟ قالوا: كان عندنا شيخ كبير، النصارى يقولون، ابن مائة سنة، فلما كان اليوم مات على الإسلام، عندنا واحد نصراني، منا وفينا، عمره مائة عام، اليوم أسلم، واليوم مات، فقلنا لهم: خذوا هذا بدله، وسلمونا صاحبنا، قال: فولوناه، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين، وولوا هم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى. نسأل الله حسن الخاتمة. [29].

وأبو بكر بن النابلسي

---

[29]() البداية والنهاية

رحمه الله كان رجلاً ذا صبر عظيم، عند الطغاة، فأتى به جوهر العبيدي الرافضي، وألقى القبض عليه، وقال لأبي بكر بن النابلسي رحمه الله: بلغنا أنك قلت إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، يعني في الباطنية تسعة وفي النصارى الكفار الأصليين أهل الكتاب واحد، وفي الباطنية هؤلاء العبيديين تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً، كل العشرة فيكم، أنتم قبل النصارى، أنتم الملاحدة، أنتم الزنادقة، أنتم الباطنية، أنتم أخبث وأشر، أنتم مرتدون، النصارى أهل كتاب، أنتم مرتدون، قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم الإلهية، فضربه، ثم أمر يهوديًا أن يسلخه. (30)

مات على الإسلام

قال القاسم أبو عبد الرحمن: "غزونا مع فضالة بين عبيد، فبينا نحن نسرع في السير، وهو أمير الجيش، وكان الولاة حينها يسمعون ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيها الأمير إن الناس قد تقطعوا قف حتى يلحقوا بك، فوقف، في مرج عليه قلعة، فإذا نحن برجل أحمر ذي شوارب، فأتيناه به فضالة، فقلنا: إنه هبط من الحصن بلا عهد"، هذا جاء من حصن العدو ما بيننا وبينه عهد، فسأله، فقال: "إني البارحة أكلت الخنزير، وشربت الخمر، فأتاني في النوم رجلان، فغسلا بطني، وجاءتني امرأتان فقالتا: أسلم، فأنا مسلم"، الآن هذا رجل كافر صادفه هؤلاء المسلمون في الغزو، نزل من حصن العدو، فألقوا القبض عليه وأخذوه: ما بك؟ ما الذي أخرجك من حصنك؟ قال: أمس شربت الخمر، وأكلت خنزير، ونمت، ورأيت في المنام من غسل بطني، وقال لي: أسلم، قمت من النوم قلت: أسلمت، وأنا مسلم، فأنا نزلت إليكم أقول لكم: أنا مسلم، يعني أيش الخطوة التي بعدها؟ تأثر بالمنام وأسلم، قال: "فما كانت كلمته، يعني كلمة: أنا مسلم، فما كانت كلمة أسرع من أن رمينا بالزبار" قطع الحجارة والحديد، "فأصابه فدق عنقه" مات مباشرة، فقال فضالة: "الله أكبر عمل قليلاً، وأجر كثيرًا، فصلينا عليه ثم دفناه" (31)

---

(30) سير أعلام النبلاء

(31) الجهاد لابن المبارك

قصة النطق بالشهادة :

خرج رجلُ من الصالحين ، خرج بزوجته وكانت صائمة قائمة وليّة من أولياء الله ، خرج يريد العمرة ، والغريب في تلك السفرة أنها ودعت أطفالها ، وكتبت وصيتها ، وقبلت أطفالها وهي تبكي ، كأنه ألقي في خلدها أنها سوف تموت { ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } ، ذهب واعتمر بزوجته ، وهو وإياها في بيت أسس على التقوى ، إيمان وقرآن وذكر وصيام وقيام وعبادة ، لا يعرفون الغيبة ولا الفاحشة ولا المعاصي ، عاد معها فلما كان في الطريق إلى الرياض ، أتى الأجل المحتوم إلى زوجته { وعد الله الذي لا يخلف الله وعده ولكن كثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون } ، ذهب إطار السيارة فانقلبت ووقعت المرأة على رأسها ، { أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون } ، خرج زوجها من الباب الآخر ، ووقف عليها وهي في سكرات الموت تقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وتقول لزوجها : عفى الله عنك ، اللقاء في الجنة ، بلغ أهلي السلام ، وخرجت روحها إلى بارئها .

القبر المنير بعمل صاحبه

إنه أنزل رجلاً في قبره في ليلة ظلماء، شديدة الظُّلمة، وكان الجوُّ غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمُعة، وصلَّى عليه الشيخ ابنُ باز، ثم ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج أو كشَّاف لكي ننير القبر، ولكنه أبطأ علينا، فأخذت أعسُّ اللحد بيدي، فقلت للإخوة: أعطوني الميت، فلمَّا سللته من جهة الرِّجلَين، ووضعته في قبره، وفككت تلك الأربطة، وإذا بالأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنارت القبر، ورآه كلُّ مَن كان معي، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر.

مات وهو على هيئة الصلاة:

رجلٌ يُدعى "ناصرًا"، وكان رجلاً صالحًا يَعمل نجَّارًا في الرياض، وكان كلما حان وقت سُنَّة الضحى، أغلق دكَّانه، وانطلق إلى المسجد المجاور للدُّكان، ثم توضأ وصلَّى سُنَّة الضُّحى،

فبعد أن يَنتهي من صلاته: يَعود فيفتح دكانه، ثم يَعمل فيه، وفي يوم مِن الأيام أغلق دكانه كعادته، ودخل المسجد ليُصلِّي الضحى فتوضأ، ثم كبَّر وصلَّى، وما أن انتهى من الرَّكعة الأولى، وشرع في الركعة الثانية، فوضع يده اليمنى على اليسرى على الصدر، ثم مات وهو يُناجي ربه، مات وهو يُصلِّي، وما علموا بموته إلا عندما دخل المؤذن ليُؤذِّن لصلاة الظهر، فحملوه إلى بيته، وقاموا بتغسيله، فكلما أعادوا يده إلى جنبه، أعادها مرَّة أخرى إلى صدره، فكفَّنوه ويده موضوعة على صدره، كهيئتها في الصلاة، وسيُبعث هكذا إن شاء الله، فمَن مات على شيء، بُعِث عليه.

ماتت وهي ساجدة:

امرأة عَجوز، بلغت الثَّمانين من عُمُرها في مدينة الرِّياض، وكلَّما جلست مع النِّساء، رأت أن المجلس لا يُصرف إلا في القِيل والقال، وفي إضاعة الأوقات، فاعتزلت هذه المجالس، وجلست في بيتها تذكر اللهَ تعالى آناء الليل وأطراف النَّهار، وجعلت تصوم النهار، وتقوم اللَّيل، وكان لها ولدٌ بارٌّ بها، وفي ليلة من الليالي قامت لتُصلِّي، يقول ابنها: وفي آخر الليل إذا بها تنادي عليَّ، قال: فتقدَّمْتُ وذهَبْتُ إليها، فإذا هي ساجِدة - على هيئة السُّجود - وتقول: يا بُنيَّ، ما يتحرك فيَّ الآن سوى لساني، قال: إذًا أذهب بكِ إلى المستشفى، قالت: لا، وإنما أقعدني هنا، قال: لا والله، لأذهبنَّ بكِ إلى المستشفى، وقد كان هذا الابن حريصًا على برِّها، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى، وتجمَّع الأطباء واحتاروا في أمرها، ولم يَعرفوا السَّبب الذي جعل جسدها يتيبَّس على هيئة السجود، ولما عجزوا قالت لابنها: أسألك اللهَ أن تردَّني على سجادتي في بيتي، فأخذها وذهب بها إلى البيت، ثم وضَّأها وأعادها على سجادتها، فقامت تُصلِّي، يقول: وقبل الفجر بوقتٍ ليس بطويل، وإذا بها تُناديني، وتقول: يا بُنيَّ، أستودعك اللهَ الذي لا تَضيع ودائعُه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لتصعد رُوحها إلى بارئها - جل وعلا - وهي ساجدة، فغسَّلُوها وهي ساجدة، وكفَّنُوها وهي ساجدة، وحملوها إلى الصلاة عليها وهي ساجدة، وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة، ودُفنت وهي ساجدة، وستبعث إن شاء الله وهي ساجدة؛ فمَن مات على شيء بُعِثَ عليه؛

عامر بن عبد الله بن الزبير

على فراش الموت يلفظ أنفاسه الاخيرة والاهل من حوله يبكون فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادى لصلاة المغرب ونفسه قد تحشرج فى حلقة واشتد نزعة ولكن بمجرد ان سمع النداء قال لمن حوله خذوا بيدي قالو الى اين قال الى المسجد ! تعجب الحضور وقالوا وانت على هذه الحال ؟! قال عامر بن عبد الله سبحان الله اسمع منادى الصلاة ولا أجيبه خذوا بيدي فحملوه فصلى ركعة مع الإمام ثم مات فى سجوده . نعم الختام عاش على صلاته فمات عليها .

نسأل الله تعالى الثبات بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونسأله سبحانه حسن الختام.

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق د/ خالد بدير

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: حرص الأنبياء والصالحين على حسن الخاتمة

العنصر الثاني: الأعمال بالخواتيم

العنصر الثالث: قصص حسن وسوء الخاتمة

العنصر الرابع: أسباب حسن وسوء الخاتمة

المقدمة: أما بعد:

العنصر الأول: حرص الأنبياء والصالحين على حسن الخاتمة

عباد الله: إن من أهم الأمور التي ينبغي على الإنسان أن يحرص عليها ويستعد لها (حسن الخاتمة).

وحسن الخاتمة : هو أن يُوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضب الرب سبحانه ، والتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ؛ فمَنْ وفَّقه الله تعالى للعمل الصَّالح في آخِر عمره وفي آخِر ساعةٍ من الأجَل؛ فقد كتب الله له حسنَ الخاتمة، ومَنْ خذَله الله فختَم ساعةَ أجلِه بعمل شرٍّ وذنبٍ يُغضِب الربَّ؛ فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سوءٍ والعياذ بالله.

وقد حثَّنا الله تبارك وتعالى وأمرنا بالحرص على نَيْل الخاتمة الحسنة؛ فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: 102].

والسَّعيُ لحُسن الخاتمة غايةُ الصَّالحين، وهِمَّة العباد المتَّقين، ورجاء الأبرار الخائفين؛ ودعاء الأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالى: { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [البقرة: 132]، وقال تعالى في وصف أُولي الألباب: { رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ } [آل عمران: 193]، وقال تعالى عن التَّائبين: { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين } [الأعراف: 126]،.

عباد الله: إذا كان الأنبياء والمرسلون - مع علو مكانتهم وقدرهم عند الله – حريصين على حسن الخاتمة بهذه الكيفية وهذا الخوف؛ فكيف بنا نحن وقد أكلتنا الذنوب !! بل أكل بعضنا بعضاً ؟!!

بل انظروا إلى نبيكم -صلى الله عليه وسلم- كيف كان حريصاً على حسن الخاتمة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وكيف كان يدعو بطلبها ؟!!

فعن عبدالله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: " إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرَّحمن كقَلبٍ واحد، يصرِّفُه حيثُ يشاء . ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: اللَّهمَّ مصرِّفَ القلوب، صرِّف قلوبَنا على طاعتك". (مسلم). فمَنْ وفَّقه الله لحُسن الخاتمة؛ فقد

سَعِد سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، ولا كربَ عليه بعد ذلك التوفيق، ومَنْ خُتِم له بسوءِ خاتمةٍ؛ فقد خَسِر في دنياه وأُخْراه.

أيها المسلمون: لقد ضرب لنا سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - أروع المثلة في الحرص على حسن الخاتمة؛ ومدى وخوفهم من سوء الخاتمة مع ما هم فيه من الزهد والورع والتقى؛ وأقف وقفة مع فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - الذي قال فيه الشاعر محمود غنيم :

يا من يرى عُمَراً تكسوه بُرْدَتُـه ..... والزيتُ إدْمٌ لـهُ والكوخُ مأواه

يهتزُّ كسرى على كُرسِيِّه فَرَقاً ..... من خوفِهِ وملوكُ الرومِ تخشاه

ياربِّ فابعثْ لنا من مِثْلِهِم نَفَراً ..... يُشَيِّدُون لنا مَجداً أضَعناه

يقف فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - عند الجمرات في آخر حجة حجها ودعا الله بقلب صادق، وقال: " اللهم ضاعت رعيتي، ورق عظمي، وشاب رأسي، ودنا أجلي، اللهم فاقبضني إليك غير مفرط ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتة في بلد رسولك ".

شرطان: في سبيل الله، وفي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال له الصحابة: كيف تسأل الشهادة في المدينة ؟! ومن يسأل الشهادة يخرج إلى الثغور والقتال والأعداء.؟!! قال: هكذا سألت وأسأل الله أن يلبي لي ما سألت. وعلم الله أنه صادق مخلص: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69].. {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ }[محمد:21] عاد إلى المدينة ، وامتدت له يد أبي لؤلؤة الآثمة في صلاة الفجر في أحسن بقعة وفي أحسن صلاة؛ فطعنه ثلاث طعنات وهوى صريعاً؛ وحمل على أكتاف الرجال وهو مطعون فما تذكر ولداً ولا زوجة ولا منصباً ولا وظيفة ولا داراً ولا مالاً، وقال عمر عندما علم بنفاذ الطعنة المجوسية اليهودية: الحمد لله الذي جعل نهايتي على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة؛ وأخذت عيناه تهراق بالدموع وهو يقول: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني ما عرفت الحياة، يا ليتني ما توليت الخلافة!!

تقول هذا وأنت الزاهد المجاهد الصادق، فكيف بنا نحن؟! كيف نلقى الله؟!

وهنا يدخل عليه علي أبو الحسن رضي الله عنه وأرضاه، فأثنى عليه، قال: يا علي ! والله الذي لا إله إلا هو وددت أني نجوت كفافاً لا لي ولا عليَّ. وأخذ عمر – رضي الله عنه - يقول لابنه عبد الله : انزع المخدة من تحت رأسي وضع رأسي على التراب علَّ الله أن يرحمني. رحمك الله وأسكنك الله الرضوان ورفع منزلتك يوم يتقبل الله من الصادقين:{ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}. هنيئاً لك، السعادة إن شاء الله وشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهذا ذو النورين عثمان – رضي الله عنه - إذا ذكر القبر بكى حتى يجلس، فعَنْ هَانِئٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ ، قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَلاَ تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، قَالَ : " إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ " (أحمد وابن ماجة والترمذي والحاكم وصححه).

فالقبر منزل -والله- موحش، لا صديق، لا حبيب، لا زوجة، لا ولد، إلا العمل الصالح، تركوا ما تركوا، واستجوبوا فما نطقوا، وودعوا فإما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

أحبتي في الله: لقد كان السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم يخافون سوءَ الخاتمة أشدَّ الخوف؛ قال البخاريُّ في "صحيحه": "قال ابن أبي مُلَيْكَة: أدركتُ ثلاثينَ من الصَّحابة، كلُّهم يخاف النِّفاقَ على نفسه"، وقال ابن رجب: "وكان سفيان الثوريُّ يشتدَّ قلقُه وخوفُه من السَّوابق والخواتم؛ فكان يبكي ليلة إلى الصباح ، فقيل له : أبكاؤك هذا على الذنوب ؟ فأخذ تبنة من الأرض وقال : الذنوب أهون من هذه ؟ إنما أبكي خوف الخاتمة . وقال عطاء الخفاف : ما لقيت سفيانَ إلا باكياً فقلت : ما شأنك ؟ وقال : أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقياً ، ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلَبَ الإيمانَ عند الموت"، وقال بعضُ السَّلف: "ما أبكى العيونَ ما أبكاها الكتابُ السَّابق"، وقد قيل: "إنَّ قلوبَ الأبرار معلَّقَةٌ بالخواتيم؛ يقولون: بماذا يُختَم لنا؟ وقلوبُ المقرَّبين معلَّقةٌ بالسَّوابق؛ يقولون: ماذا سبَق لنا؟"، وكان مالك بن دينار - رحمه الله - يقوم ليلَه ويقول: "يا ربِّ، قد علمتَ ساكنَ الجنَّة والنَّار؛ ففي أيِّ منزلٍ مالك؟"[جامع العلوم والحكم].

وهذا سهل التستري يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة؛ وهم الذين وصفهم الله إذ قال: (وقلوبهم وجلة) . وكلام السَّلف في الخوف من سوء الخاتمة كثيرٌ لا يتسع المقام لذكره ويكفي القلادة ما أحاط بالعنق.

العنصر الثاني: الأعمال بالخواتيم

عباد الله: إن الإنسان في هذه الدنيا يخلط بين الأعمال الصالحة والطالحة؛ ولكن العبرة بالخواتيم؛ ولأهمية الخواتيم عنوَنَ لها الإمام البخاري باباً في صحيحه فقال: (باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها) ؛ وذكر فيها حديثاً لرجلٍ قاتل في أرض المعركة؛ وكانت رقاب الأعداء تتطاير تحت سيفه؛ ومع ذلك ختم الله له بسوء؛ ومات منتحراً لأنه جُرِحَ ولم يصبر على الجرح؛ فقتل نفسه!! فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ؛ فَقَالَ:" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا"؛ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ؛ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا"(البخاري).

وقد نبهنا صلى الله عليه وسلم إلى أهمية حسن الخاتمة والحرص عليها فقال: " إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ؛ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا."(متفق عليه)

وقد يقول قائل كيف أموت على طاعة؟!! والجواب في حكمة أبي حازم سلمة بن دينار: كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته خيراً فالزمه ، وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته شراً فاجتنبه. أي: إذا أردت أن تموت على طاعة فالزمها؛ وإن كرهت الموت على معصية فاتركها!!!

أحبتي في الله: إن الإنسان لو عاش على الطاعة وداوم عليها فإن الله الكريم يستحي أن يقبضه على معصية. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} أي: " حافظوا على الإسلام

في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك."

فالإنسان الذي يداوم على الطاعة وأصبحت سجيةً له يستعمله الله – عز وجل- في عمل الخير عند خاتمته؛ بل ويعسله كما جاء في الحديث؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ:"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وَمَا عَسَّلَهُ؟ قَالَ:"يُفْتَحُ لَهُ عَمَلا صَالِحًا، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ". (أحمد والحاكم والطبراني بسند صحيح)؛ وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ؛ فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ"(أحمد والحاكم والطبراني والترمذي وصححه).

بداية الصفحة وآخرها..

أحبتي في الله: ونحن في استقبال عام هجري جديد علينا أن نبدأ صفحته بطاعة ونختمها بطاعة فالعبرة بالبداية والخاتمة.

فابدأ يومك .. ابدأ شهرك .. ابدأ عامك .. بطاعة واختمه بطاعة، فالبدايات والخواتيم عليها مدار الفوز والخسارة .. ابدأ يومك بصلاة فجر أو قيام سحر، واختمه بنوم على سلامة صدر وطهارة بدن، ابدأ عامك الهجري بطاعة واختمه بطاعة؛ فلو كان أول سطر في صحيفتك خيرا وآخر سطر فيها خيرا لمحا الله لك ما بينهما، وأنا أستبشر هنا ببشارة حبيبنا صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ؛ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ؛ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ" (مسلم).

وإذا كان كتاب عمرك أول سطر فيه أذانٌ قرع أذنك عقب ولادتك، فاستبشر بأن يكون آخر سطر فيه إن شاء الله كلمة التوحيد ينطق بها لسانك، لتكون جواز عبورك إلى الجنة.

العنصر الثالث: قصص حسن وسوء الخاتمة

أحبتي في الله: تعالوا لنقف مع حضراتكم في هذا العنصر مع صور حسن وسوء الخاتمة؛ لنأخذ منها العظة والعبرة ترغيباً وترهيباً ؛ ليعيش الإنسان بين الرجاء والخوف.

قصص حسن الخاتمة:

- **مات ملبيا ويبعث ملبياً** : فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَأَقْصَعَتْهُ أَوْ قَالَ فَأَقْعَصَتْهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلَا تُحَنِّطُوهُ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا" (متفق عليه).

- مات وهو ساجد: روي أن عامر بن عبد الله رجل من الصالحين، كان مؤذناً في أحد المساجد، وكان منزله قريباً من المسجد الذي كان يؤذن فيه، فمرض ذات يوم مرضاً أقعده عن الصلاة أياماً، فجاء إليه أصحابه لزيارته فسمع المؤذن يؤذن فقال لأصحابه: خذوني إلى المسجد، فقالوا: لقد أعذرك الله، فقال: سبحان الله، أسمع النداء ولا أجيبه؟ فحملوه إلى المسجد فلما سجد كانت السجدة الأخيرة له ووقع فمات.

ونحن جميعا نعلم أن فضيلة الشيخ كشك – رحمه الله – عرضت عليه المناصب داخل مصر وخارجها فرفضها ودعا الله قائلاً: اللهم أحيني إماما وأمتني إماما واحشرني وأنا ساجد بين يديك يا رب العالمين؛ ومات وهو ساجد !! وأمثلة من ماتوا ساجدين كثيرة وعديدة !!

- شهداء بورما وسيناء: ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر حسن الخاتمة لشهدائنا الأبرار الذين اغتالتهم يد الغدر والخيانة في أرض سيناء الحبيبة؛ بل وفي أرجاء المعمورة كلها ؛ وكذلك شهداء المسلمين في بورما والذين استشهدوا بأيدي الأعداء على مرأى ومسمع من العالم كله؛ هؤلاء أجمعون يعدون من الشهداء لأنهم ماتوا دفاعاً عن دينهم وأهلهم ووطنهم؛ ويبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ؛ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ". (متفق عليه). قال النووي : " معناه يجري متفجرا أي كثيرا ، قال : والحكمة في مجيئه يوم القيامة كذلك أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى". (شرح النووي).

عباد الله: إن حسن الخاتمة غاية عمل لها العاملون، وتنافس فيها المتنافسون وسعى نحوها الصالحون، من فاز بها فهو أسعد السعداء، ومن حُجبت عنه فهو أشقى الأشقياء.

قصص سوء الخاتمة:

- اشرب أنت ثم اسقني: روي أنه احتضر رجل ممن كان يجالس شرب الخمور، فلما حضره نزع روحه أقبل عليه رجل ممن حوله وقال: قل لا إله إلا الله، فتغير وجهه وتلبد لونه وثقل لسانه، فردد عليه صاحبه: يا فلان قل: لا إله إلا الله، فالتفت إليه وصاح: لا.. اشرب أنت ثم اسقني، ثم ما زال يرددها حتى فاضت روحه.

- مات مخموراً في الحمام: وأذكر لكم قصة واقعية في سوء الخاتمة بشرب الخمر حدثت في أحد المساجد الكبرى بالقاهرة ؛ حدثني بها إمام المسجد قائلا: بعد صلاة العشاء قام العمال بغلق أبواب ونوافذ المسجد؛ ودخل أحدهم الحمامات ليطفئ الأنوار؛ وإذا بأحد الحمامات مغلق من الداخل؛ فطرق الباب فلم يجبه أحد؛ فتسلق أحدهم الجدار ونزل الحمام وإذا بشاب في ريعان شبابه أخذ إبرة مخدرات (مكس) في كتفه وكانت الجرعة قوية شديدة عليه فمات في حينها ليلقى الله على هذه الحال!!!! وفرق كبير بين من يلقى الله مخموراً وبين من يلقاه ملبياً !!!

- قلبه معلق بالدنيا: لما نزل بأحدهم الموت واشتد عليه الكرب اجتمع حوله أبناؤه يودّعونه ويقولون له: قل: لا إله إلا الله، فأخذ يشهق ويصيح، فأعادوها عليه، فصاح بهم وقال: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والبستان الفلاني ازرعوا فيه كذا، والدكان الفلاني اقبضوا منه كذا، ثم لم يزل يردد ذلك حتى مات.

أحبتي في الله: لقد ذكر الإمام ابن القيم عدة مواقف لخاتمة السوء فقال:" أخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، وهذا مشترٍ جيد،

هذه كذا، حتى قضى ولم ينطق التوحيد!! وأخبرني من حضر عند وفاة أحد الشحاذين فجعلوا يقولون له: قل لا إله إلا الله؛ فجعل يقول: فلس لله.. فلس لله، حتى ختم بهذه الخاتمة!! وقيل لآخر كان يدمن الغناء: قل لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاننا تنتنا، حتى مات!!! فكيف يوفَّق لحسن الخاتمة من أغفل اللهُ سبحانه قلبَه عن ذكره، واتّبَعَ هواه، وكان أمره فُرُطًا؟ فبعيدٌ من قلبٍ بعيدٍ من الله تعالى، غافلٍ عنه، متعبّدِ لهواه، أسيرٍ لشهواته؛ ولسانٍ يابسٍ من ذكره، وجوارحَ معطّلةٍ من طاعته مشتغلةٍ بمعصيته أن توفَّقَ للخاتمة بالحسنى.؟!! (الداء والدواء).

عباد الله: هذه رسالة أوجهها لي قبلكم: إذا أردتم حسن الخاتمة فحافظوا على الطاعة والزموها؛ لأنكم ستموتون على ما كنتم تفعلونه وتداومون عليه - خيراً أو شراً - في دنياكم. اللهم بلغت اللهم فاشهد يا رب العالمين !!

العنصر الرابع: أسباب حسن وسوء الخاتمة

أحبتي في الله: تعالوا معنا لنقف في عنصرنا هذا حول الأسباب والعوامل المؤدية إلى حسن الخاتمة حتى نطبق ذلك عمليا في حياتنا اليومية.

أسباب حسن الخاتمة: هناك عدة أسباب تؤدي إلى حسن الخاتمة:

* **من أعظمها: أن يلزم الإنسان طاعة الله**: ورأس ذلك وأساسه تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرمات، والمبادرة إلى التوبة مما تلطخ به المرء منها، وأعظم ذلك الشرك كبيره وصغيره.

ومنها: الاستقامة على الطاعة: قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: 30].

ومنها: القدوم على الله بالأعمال الصالحة: فالمؤمن صاحب البضاعة الحسنة والأعمال الصالحة وما يحمله من حسنات؛ يفرح بلقاء الله والقدوم عليه؛ ويختم له بخير؛ فيحب لقاء الله. وعلى العكس من ذلك فإن العبد الطالح؛ صاحب المعاصي والبضاعة السوء؛ وما يحمله من آثام وذنوب يكره لقاء الله والقدوم عليه!! ويختم له بسوء ؛ لذلك يكره لقاء الله . فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ؛ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ! قَالَ:" لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ." (متفق عليه)، قال النووي رحمه الله : " معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه ".

فالطاعة والعبادة دليل الحب والشوق للقدوم على الله والفرح بلقائه وحسن الخاتمة، والمعاصي والذنوب دليل البغض والكره والخوف من لقاء الله وسوء الخاتمة؛ قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم يا أبا حازم : كيف القدوم على الله عز وجل؟ فقال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحا مسرورا، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفا محزونا.

* **ومنها: ملازمة الإيمان والتقوى لله:** قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ؛ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (يونس: 63 ؛ 64)؛ " قيل المراد بذلك: بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في حديث البراء: "أن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه ملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان، ورب غير غضبان. فتخرج من فمه، كما تسيل القطرة من فم السقاء".(تفسير ابن كثير)؛ وقد أخبرنا الله – عز وجل – أنه يثبت المؤمنين الذين لازموا الإيمان بكلمة التوحيد وحسن الخاتمة؛ قال تعالي: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم: 27) . قال الإمام البغوي:" قوله تعالى: { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } يعني قبل الموت، { وَفِي الآخِرَةِ } يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير."أ.ه

* **ومنها: أن يلح المرء في دعاء الله تعالى أن يتوفاه على الإيمان والتقوى:** وأفضل الدعاء: اللهم أحيني على الإسلام وتوفني على الإسلام ؛ وألحقني بالصالحين ؛ اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك فيه؛ اللهم اختم بالباقيات الصالحات أعمالنا . وقد بيَّن المولى سبحانه أن حسن الخاتمة كان أمنية ودعاء الأنبياء والمرسلين؛ وقد ذكرنا أدلة ذلك في عنصرنا الأول.

* **ومنها: أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه:** وأن تكون نيته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك، فقد جرت سنة الكريم سبحانه أن يوفق طالب الحق إليه، وأن يثبته عليه وأن يختم له به.

<u>أسباب سوء الخاتمة</u>

عباد الله: بعد أن عرفنا أسباب وعوامل حسن الخاتمة؛ نأتي الآن لنعرف أسباب وعوامل سوء الخاتمة حتى نحذر منها :

* **فمنها: فساد الاعتقاد:** فمن فسدت عقيدته ظهر عليه أثر ذلك حين خروج الروح في وقت هو أحوج إلى العون والتثبيت من الله تعالى.

* **ومنها: الإقبال على الدنيا والتعلق بها:** بحيث تكون الدنيا في قلبه لا في يده .

* **ومنها: العدول عن الاستقامة والإعراض عن الخير والهدى.**

* **ومنها: الإصرار على المعاصي وإلفها:** فإن الإنسان إذا ألف شيئا مدة حياته وأحبه وتعلق به، يهوى ذكره إليه عند الموت، ويردده حال الاحتضار في كثير من الأحيان؛ كما رأينا في عنصرنا السابق !! قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة، قال تعالى: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} (الفرقان: 29)؛ وسوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فإن هذا لم يسمع به، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقدا، وظاهره عملا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عيه حتى ينزل به الموت قبل التوبة." أ .هـ

أيها المسلمون: لأجل ذلك كان جديراً بالعاقل أن يحذر من تعلق قلبه بشيء من المحرمات، وجديرا به أن يلزم قلبه ولسانه وجوارحه ذكر الله تعالى، وأن يحافظ على طاعة الله حيثما كان، من أجل تلك اللحظة التي إن فاتت وخذل فيها شقي شقاوة الأبد.

عبادَ الله: اعملوا الصَّالحات، وجانبوا المحرَّمات، واجتهدوا في تحصيل أسباب حُسن الخاتمة، واحذَروا أسبابَ سوء الخاتمة، واجتهدوا فيما يُرضي ربَّكم؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له، وأحسنوا العمل، وأحسنوا الظنَّ بربِّكم، ولا يُسِئ المرء العملَ ويتمنَّى على الله الأماني، وفي الحديث عَنْ بُسْرِ بن أَرْطَاةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ :" اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتِي فِي الأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنِي مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الآخِرَةِ ، وَقَالَ : مَنْ كَانَ ذَلِكَ دُعَاءَهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الْبَلاءُ ". [أحمد والطبراني وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات].

فاسعَوا رحمكم الله إلى تحصيل أسباب حسن الخاتمة ليوفِّقكم الله إلى ذلك، واحذروا أسبابَ سوء الخاتمة؛ فإنَّ الخاتمة السيِّئة هي المصيبةُ العظمى، والدَّاهيَة الكبرى، والكَسْر الذي لا ينجَبِر، والخسران المبين، والعياذ بالله من ذلك.

نسأل الله أن يختم بالباقيات الصالحات أعمالنا!!!!

الدعاء،،،، وأقم الصلاة،،،،

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والترفيق للشيخ / محمد حســـن داود

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)الحشر18)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله،القائل في حديثه الشريف " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ" قِيلَ وَمَا عَسَلُهُ قَالَ" يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " رواه احمد) اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فان في توالي الأعوام عبرة وتذكرة لأولى الألباب, وفي أفول الأزمنة آيات لأولى الأبصار، سنوات تمضي على العباد , وأيام وشهور تنقضي من الأعمار, أحوال فيها تتبدل، ونفوس فيها تتغير، أعمار تنقضي، وآجال تقترب، والعاقل من جعل هذه الآيات سبيلاً للتفكر, وميدانا رحباً للتبصر, قال تعالى (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) النور44) فهذا حال من يطلبون الفوز ويسعون إليه، إذ يجعلون من مرور الأيام والسنين، مدكراً ومزدجراً، يستحيون من الله أن يمر يوم ولم يتزودوا فيه من الخير، قال ابن مسعود "ما ندمتُ على شيء كندمي على يوم مضى من عمري ولم يزد عملي"،وقال أحد السلف"من كان يومه كأمسه فهو المغبون، ومن كان يومه أحسن من أمسه فهو المغبوط "، فهنيئا لمن أحسن واستقام فصلح عمله، وحسنت خاتمته، قال تعالى(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)

فالناظر في القران الكريم والسنة النبوية، يرى الأمر جليا بالحرص والسعي إلى نيل الخاتمة الحسنة، قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)آل عمران 102) وقال تعالى(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ الحجر99) وعن أبى هريرة أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال " مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ " , رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) و قال ايضا " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ , إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ , وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ " رواه بن ماجة) وعن أبى هريرة أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ " ، قَالُوا : وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعَ " رواه الترمذي).

ولأهمية هذه اللحظة الحاسمة في حياة الإنسان، كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُوصون بالحرص على نيل حسن الخاتمة، قال تعالى (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)البقرة132)، وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)يوسف101) كما اثر من دعائه صلى الله عليه وسلم " اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ " رواه احمد) وايضا ما جاء عن عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " ، فَقُلْتُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ " رواه الترمذي) .

ولأهمية هذه اللحظة أيضا في مصير الإنسان كان الصحابة والسلف الصالح في خوف منها، فهذا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول " لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَلا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي لاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ " . وهذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يخاف على خاتمته إذ يسأل حذيفة بن اليمان (الذي هو أمين سر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي أطلعه رسول الله على أسماء المنافقين)عن أسماء المنافقين فيقول له "أنشدك بالله! ألم يسمني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم؟!. وهذا حذيفة بن اليمان يقول" كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ".وهذا سفيان الثوريُ يبكى ليلة إلى الصباح ، فقيل له : أبكاؤك هذا على الذنوب ؟ فأخذ تبنة من الأرض وقال : الذنوب أهون من هذه إنما أبكي خوف الخاتمة . ويذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه صلى العشاء يوماً من الأيام فراقبه رجل يريد أن يعرف قيامه وتعامله مع ليله، فوضع إبراهيم جنبه على فراشه ولم ينقلب طوال ليله ولم يقم حتى أذن للفجر، فقام من فراشه وذهب للمسجد بلا وضوء، فقال له الرجل الذي يراقبه: يرحمك الله يا أبا إسحاق راقبتُك البارحة لأعرف قيامك من الليل فوجدتُك نائماً طوال الليل وذهبت إلى الفجر بلا وضوء! قال" والله لولا أن تسيء بي الظن ما أخبرتك، اعلم أنني لما وضعتُ جنبي على الفراش تذكرتُ الجنة والنار، فكنتُ أفكر في النار مرة وفي الجنة مرة حتى طلع الفجر، فلم أنم وصليتُ بوضوء العشاء" ورأى عمر بن عبد العزيز شاباً قد نحل جسمه واصفر لونه فقال له: ما الذي أصابك؟ قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: عزمتُ عليك أن تخبرني. قال: يا أمير المؤمنين أصبحت وقد عزفت نفسي عن الدنيا فأظمأتُ نهاري بالصيام وأسهرت ليلي بالقيام وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة وهم يتزاورون وإلى أهل النار وهم فيها يتعاوون.

ولما لا يخاف الإنسان منا هذه اللحظة ويعمل لها ويحرص أن يوفق في الفوز فيها، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول " فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُه إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَايَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا " البخاري ومسلم) وفى صحيح البخاري)عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: "وَمَا ذَاكَ؟" قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا: "أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

لذلك كان الصحابة والسلف الصالح ، يجتهدون في طلب التوفيق للخاتمة الحسنة ،فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَلُهُ قَالَ يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ "رواه احمد). كما كانوا يحرصون بعملهم واجتهادهم لحسن الخاتمة؛ فكانوا يعرفون بالأعمال الصالحة مدى أعمارهم كلها لا يتركونه ولا يفرطون فيه، كان منهم من لم تَفُتْهُ تكبيرة الإحرام مع الجماعة في المسجد أربعين سنة، وكان منهم من ختم القرآن في بيته آلاف المرات، ومنهم من كان يحج كل عام، ومنهم من أدام الصيام، ومنهم من ظل غازيا طول عمره، مدافعا عن دينه ووطنه، ومنهم من لم يُرَ إلا وهو عاكف على كتبه وبين مجلداته، يبحث مسائل العلم ويحررها للمسلمين، ومنهم من عاش واهبا نفسه لتعليم طلابه وتربيتهم في حل وترحال، والامثلة على ذلك اكثر من ان تعد او تحصى ،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: "يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ (أي تحريك نعليك) بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ " قَالَ: "مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ" .، وعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ، أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَعْرَابِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أُهَاجِرُ مَعَكَ ؟ فَأَوْصَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ أَوْ حُنَيْنٍ غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَا هُنَا , وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ وَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : " إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ " ، فَلَبِثُوا قَلِيلا ، ثُمَّ دَحَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ ، فَأُتِيَ بِهِ يُحْمَلُ وَقَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " أَهُوَ هُوَ ؟ " ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : " صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ " ، فَكَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلاتِهِ عَلَيْهِ : " اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ , فَقُتِلَ شَهِيدًا , فَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ " مستدرك الحاكم) ولقد جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: متى القيامة؟ قال: "وما أعددت لها؟" قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، قال: "أنت مع من تحب".قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية ما نصه " وسوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـلا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله، وأعماله، فان هذا لم يسمع به ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقدا، وظاهره عملا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة " البداية والنهاية لابن كثير)

وإن من الأمور التي تعين العبد على حسن الخاتمة :

ـ الإيمان بالله والاستقامة على طريق الطاعة قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) فصلت 30-32)وقال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا)النساء 69)

ـ تقوى الله في السر والعلن بامتثال أمره واجتناب نهيه والدوام على ذلك ، قَالَ تعالى(تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ القصص 83).

ـ حسن الظن بالله تعالى ،فعنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ " صحيح مسلم).

ـ لزوم هدي النبي صلى الله عليه وسلم، قال تَعَالى(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)الأحزاب 21)

ـ الإخلاص لله في طاعته وعبادته قال تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف 110)

ـ الإكثار من العمل الصالح على اختلاف صنوفه والمداومة عليه ، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ " . صحيح مسلم فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ " أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ : مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "رواه احمد)

ـ الصدق في النية والعزيمة مع الله تعالى ؛فعن الْبَرَاءَ رَضِي اللَّه عنه قال(أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ قَالَ أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا) رواه مسلم)

ـ اجتناب الكبائر وعظائم الذنوب ، قال تعالى (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)النساء 31).

ـ الإحسان إلى الخلق، قال تَعَالى(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)البقرة 274) فالسخاء وسماحة النفس سبب للتوفيق لحسن الخاتمة، قال صلى الله عليه وسلم " صَنَائِعُ المعروفِ تقِي مصارعَ السّوء" .

ـ ومنها : الدعاء بحسن الخاتمة فقد قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)غافر 60)

ـ ومنها : التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه قال تعالى(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)النور31)وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ،فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ، فَقَالَ : لا ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً،ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ،انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ . فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ،فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ ،فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ،فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ

بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ،فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ " رواه مسلم)

ـ ولا شك أن من اجل أسباب حسن الخاتمة: الشهادة دفاعا عن الوطن والأرض والعرض فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) رواه الترمذي، وغيره)وقال أيضا " عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" .رواه الترمذي) فلقد هانت علي هؤلاء دنياهم ولم تغرهم متع الحياة وزخرفها، اختاروا أرفع المقامات، وقدموا اسمي التضحيات، علموا أن أغلى ما يملكه الإنسان روحه التي بين جنبيه، فقدموها قربانا إلى ربهم، يهون المال والمتاع دون الدم، ولكنهم ضحوا بدماءهم في سبيل الله، سمعوا قول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)التوبة 111]، فعقدوا البيع مع الله، السلعة أرواحهم، والثمن الموعود عند الله هو الجنة، ومن أوفى بعهده من الله؟! فيا لله ما أعظمه من بيع، فهنيئا لهم بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول للشهيد عند الله ست خصال:يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ من دمه ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ، وَيُحَلَّى بِحِلْيَةِ الإِيمَانِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ من أهل بيته "الطبراني)

إن هذه الأيام مطايا ورواحل تنقلنا إلى الآخرة كل يوم يمر هي مرحلة تقدمك للآخرة وتباعدك من الدنيا حتى تنهي أيامك المعدودة المحدودة ، قال الحسن البصري " يا بن ادم إنما أنت أيام كلَّما مضى منك يومٌ مضى بعضك" فكونوا على أهبة الاستعداد واملئوا خزائن أعمالكم وصحائف سعيكم بالأعمال الصالحة التي تثقل بها موازينكم فتكونوا يوم الوزن ممن ثقلته موازينه، ويوم عرض الصحف ممن يعطى صحيفته بيمنه ،ويوم المرور على الصراط ممن يثبته الله وينجيه ،ويوم ينقسم الناس إلى جنة ونار ممن يفوز بالجنة ويزحزح عن النار ، وذلك الفوز العظيم، والفضل الكبير فقد قال على بن أبى طالب " أَلا إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً ، وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابٌ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ " . فاستكثروا الزاد فإن السفر طويل واعلموا أن الأعمال هي حصيلة الإنسان التي يخرج بها من هذه الدنيا، ويترتب عليها مصيره في الآخرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم " يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ : يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ : أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ " البخاري)

التزموا طاعة ربكم وسارعوا بالطاعات و القربات إلى مغفرة منه ورضوان وجنة عرضها السماوات والأرض قال تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران 133) وافعلوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)البقرة197)

تزود من معاشك للمعـــــاد * * * وقم لله واعمل خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيــراً * * * فإن المال يجمع للنفـــاد

أترضى أن تكون رفيق قوم * * * لهم زاد وأنت بغير زاد ؟

اجتهدوا طلبا لحسن خواتيمكم واسألوا الله التوفيق لذلك، واغتنموا أيامكم كما قال النبي صلى الله غليه وسلم " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابُكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتُكَ قَبْلَ سِقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغُكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتُكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "

فَبَــادِرْ شَبَابَــكَ أَنْ يَهْرَمَـــا * وَصِحَّـــةَ جِسْمِــكَ أَنْ تَسْقَمَا**

وَأَيَّامَ عَيْشِكَ قَبْلَ الْمَمَـــاتِ * فَمَا دَهْرُ مَنْ عَاشَ أَنْ يَسْلَمَا**

وَوَقْتَ فَرَاغِـكَ بَــادِرْ بِـــهِ * لَيَـــالِيَ شُغْلِكَ فِي بَـعْضِ مَـا**

وَقَـدِّمْ فَكُــلُّ امْـرِئٍ قَـــادِمٌ * عَلَى بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ قَدَّمَـــا .**

(فاللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واغفر لنا ما مضى وأصلح لنا ما بقى، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم دائما أبدا على حبيبك سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين)

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين للشيخ أبو سيف الأزهري

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي كتب العزة لمن أطاعه واتبع هداه ، وكتب الذلة والشقاء لمن أعرض عن سبيل الهدى واتبع هواه ،

أحمده سبحانه وأشكره لما تفضل به علينا من النعم وأسداه ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

لا يخيب من رجاه ،

ولا يسأم من ناجاه ،

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله اختاره ربه من بين البرية واصطفاه

وطهره من الرجس والآثام ونقاه

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه .

أما بعد:

يقول الله تعالى:{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}

#عباداللهِ:

اعلموا جيدا ان نصيب الإنسان من الدنيا عمره،وكل امرئ مرهون بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر،

و آخر ساعة في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته كلها.وإنّما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنّة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور

وكم سمعنا عمن آمن ثم كفر،

وكم رأينا من استقام ثم انحرف،

ولذلك كان صلوات الله وسلامه عليه كثيراً ما يردد:

((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)).

لذلك اردت فى هذا اللقاء أن أوجه لنفسى وإياكم رسالة....

رسالة الى امة ماضيها حى وحاضرها مات

رسالة الى امة تناست فقط ولم تنسى انه مهما طال العمر فلا بد من دخول القبر

رسالة الى امة اخذتها الغفلة وسرت بها فى دروب النسيان كما اخبر الرحيم الرحمن

اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة

فيا غافل

انظر للحياة الدنيا بعمق ..بل اجعل وراء العمق عمقا, هل من خالد عليها؟

هل من باق عليها؟

🔴=◄رسالة الى امة ماجت بها امواج الحياة الدنيا كلما انكسرت موجة تبعتها موجة اخرى وهكذا

هى فى مجملها رسالة تذكير

قبل ان تدخل شمس العمر فى مجال الكسوف

وتسلم الاعضاء لفراش الموت

ويدرج الجثمان فى اكفان القدر

رسالة كتبها الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز

اما بعد:

فلو كان لك عمر نوح وملك سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان فإن امامك هول الموت ومن ورائه داران إن أخطأتك هذه صرت الى هذه

🔴=◄نعم رسالة تحذيرمن منطلق قوله صلى الله عليه وسلم كما عند البخارى انما الاعمال بالخواتيم

وعند احمد وغيره وصححه الالبانى عن انس:

قال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا استعمله..قيل وكيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يتقبله منه ويقبضه عليه

🔴=◄رسالة تدعونا لوضع انفسنا تحت نص هذا الحديث الثابت عند البخارى عن ابن عمر قال:

أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبيّ فقال :

(كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل) ،

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك "

فيا من بدنياه اشتغل *** وغره طول الأمل.

الموت يأتي بغتةً *** والقبر صندوق العمل.

🔴=◄رسالة تقودنا الى حسن الخاتمة

فمن أدرك مصيره من هنا نجا والا ندم حيث لا ينفع الندم

لقى الفضيل بن عياض رجلا ؛ فقال له الفضيل : "كم عُمُرك ؟

قال الرجل : ستون سنة

قال الفضيل : إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل

فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون

قال الفضيل : هل تعرف معناها

...قال : نعم أعرف أني عبدالله وأني إليه راجع

فقال الفضيل : يا أخي ، من عرف أنه لله عبد ، وانه إليه راجع ،

فليعلم أنه موقوف بين يديه ، فليعلم انه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا

فبكى الرجل وقال ما الحيلة

قال الفضيل : يسيرة

قال وماهى يرحمك الله ؟

قال : تُحسن فيما بقى ، يغفر الله لك ماقد مضى وما بقى

فإنك إن أسأت فيما بقى أُخذت بما مضى وما بقى "

🔴=◄رسالة تقودنا الى تذكر الاخرة والتفكر فى المصير

فعند الطبرانى بسند حسن عن سهل بن سعد الساعدي قال : مات رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يثنون عليه ، ويذكرون من عبادته ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساكت ، فلما سكتوا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هل كان [ص: 309] يكثر ذكر الموت ؟ " . قالوا : لا . قال : " فهل كان يدع كثيرا مما يشتهي " . قالوا : لا . قال : " ما بلغ صاحبكم كثيرا مما تذهبون إليه " .

#اخى

بعد هذه البيانات الواضحة

أيسعدك ان تلقى الله عزوجل على ما انت فيه من تقصير...؟

أيسرك ان تلقى الله عزوجل على ما انت فيه من تفريط وتضييع..؟

هى دعوة واضحة للسعى لحسن الخاتمة والفوز برضا الله

#نعم

من ثبت هنا فى الحياة الدنيا على الطاعة

ثبته الله عند الموت وثيته فى القبر وثبته على الصراط حتى يدخل الجنة دار الثابتين

ومن زاغ وانحرف هنا

انحرف لسانه عند الموت وانحرف فى القبر وانحرف على الصراط حتى يدخل النار دار المنحرفين

قال تعالى

يوم يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبرزت الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)}

#ايهاالاخوة:

إن المؤمنَ يعمل صالحًا، ويبذُل جُهده في هذه الحياة؛ أن يستقيم على طاعة الله ومنهجه، ويجعل نُصبَ عينيه خاتمة الأعمال، لا يدري ما يُختَم له به، يخاف من تحوُّلٍ من الإيمان إلى الكفر، ومن استقامةٍ إلى انحراف، ومن لزومِ الطريق إلى البُعد عنه، يرَى أناسًا اختلفت أهواؤهم، وتغيَّرت أفكارهم، وتنوَّعت آراؤهم، فهم يومًا دعاةٌ إلى الخير والصلاح، والهدى والنور، ويومًا يَنْقُضون ما بنَوا، ويُبدِّلون ما قالوا، بسوء اعتقادٍ، وفساد أعمال، وانحراف سلوك، فتراه يخاف على نفسه أن يخدعَه الشيطانُ كهؤلاء، فيستولي عليه، فيُنسِيه ذكرَ الله، ويصدَّه عن سبيل الله المستقيم، فيختم له بسوء، فيَلْقى الله على غيرِ هدًى، أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك،

=◄وهذا ما حذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان.

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«بادروا بالأعمال فتنًا كقِطَع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، أو يُمسي مؤمنًا، ويُصبح كافرًا، يبيع دينه بعرَضٍ من الدنيا»، من أجْل دراهم معدودة، أو عروض سخيَّة، أو دنيا فانية، سرعان ما يُغيِّر ما كان عليه من استقامة وهدًى وصلاح، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وينقلب على عَقِبيه؛ ولذا قال الله لعباده: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

=◄روى البخاري عن سهلٍ بن سعد الساعدي، قال:

«نظَر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غَناءً عنهم، لا يدع من المشركين شاذَّة ولا فاذَّة إلاَّ اتَّبعها فضرَبَها بسيفه، فقيل: يا رسول الله، ما أجزأ أحدٌ ما أجزأ فلان، فقال: مَن أحبَّ أن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار، فلينظر إلى هذا، فتَبِعه رجلٌ، فلم يزلْ على ذلك، حتى جُرِح، فاستعجَل الموت، فقال بذُبابة سيفه فوضَعه بين ثَدْييه، فتحامَل عليه؛ حتى خرَج من بين كَتِفيه، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشْهد أنَّك رسول الله، فقال: وما ذاك؟ فأخبَرَه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن العبدَ ليعمل -فيما يرى الناس- عملَ أهل الجنة، وإنه لِمن أهل النار، ويعمل -فيما يرى الناس- عملَ أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها»، وفي حديث ابن مسعود في الصحيحين: «إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيَسْبِق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعملِ أهْل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيَسْبِق عليه الكتاب، فيعمل بعملِ أهل النار، فيدخل النار».

فليحذر العبد من الذنوب أشد الحذر

فإن الكبائر موبقات،

=◄وكثرة الصغائر مع عدم التوبة ران على القلوب ومهلكات

قال صلى الله عليه وسلم: ((إياكم ومحقرات الذنوب، إنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)).

#ايهاالاخوة:

ماذا اقول أمام قول الله تعالى:

إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ

ده اكبر دليل على ان العيب فينا

#عباداللهِ:

إنَّ ربَّكم غَنيٌّ عَنكم، لا تضرّه مَعصيةُ مَنْ عَصاه، ولا تَنفعُه طاعةُ مَنْ أطاعَه، كما قال الله تعالى في الحديث القدسيِّ: ((يا عبادي، إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفعِي فتنفَعوني))؛ رواه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

وكما قالَ الله تعالى: (وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

=◄فالأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة، وأعظم الأعمال وأفضلها أعمالُ القلوب؛ كالإيمان والتوكُّل، والخوف والرَّجاء، والرَّغبة والرَّهبة، وحبِّ ما يحبُّ الله وبُغض ما يبغض الله، وتعلُّق القلب بالله وحده في جَلْب كلِّ نفع ودفع كلِّ ضرٍّ، كما قال تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وأعمالُ الجوارح الصَّالحة تابعةٌ لأعمال القلوب، كما قال الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّما الأعمَالُ بالنِّيَّات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى))؛ رواه البخاريُّ ومسلم من حديث عمر رضي الله عنه.

والأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة، كما قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: 30]، وقال تعالى: (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

=◄والعبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات في جميعِ الأوقات، ولكنَّه يتأكَّد الأمرُ بالعمل الصَّالح في آخِرِ العُمر وفي آخِرِ ساعةٍ من الأجل، ويتأكَّد النَّهيُ عن الذُّنوب في آخِرِ العُمر وفي آخر ساعةٍ من الأجَل؛ لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّما الأعمال بالخواتيم))؛ رواه البخاريُّ من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه.

فمَنْ وفَّقه الله تعالى للعمل الصَّالح في آخِرِ عمره وفي آخِرِ ساعةٍ من الأجَل؛ فقد كتب الله له حسنَ الخاتمة، ومَنْ خذَله الله فختَم ساعةَ أجلِه بعمل شرٍّ وذنبٍ يُغضِب الربَّ؛ فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سوءٍ والعياذ بالله.

=◄وقد حثَّنا الله تبارك وتعالى وأمرنا بالحرص على نَيْل الخاتمة الحسنة؛

فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)

.🔴ومن أعظم ما يورث حسن الخاتمة: تعجيلُ التوبة والصدقُ فيها، فقد كانت سببا في نجاة رجلٍ قتل مائة نفس، لكنه صدق في التوبة مع الله تعالى، فأكرمه الله بحسن الخاتمة.

فلا تنسوا يا عباد الله أن تُجددوا التوبة إلى الله دائما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل كل يوم، قال صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة).

فيا فوز من أحسن الاستعداد وأكثر من الزاد قبل يوم المعاد.

فهنيئا لمن عمر حياته بطاعة مولاه، فأدى صلاته وصام شهره وأخرج زكاة ماله وحج بيت الله تعالى وبَر والديه، ووصل رحمه وأحسن إلى جيرانه، وحسّن خُلقه مع الناس، وسعى في نشر الخير، وأكثر من ذلك حتى يُختمَ له بخاتمة خير.

اللهم تب علينا واغفر لنا واجعل يومنا خيرا من أمسنا، واجعل غدنا خيرا من يومنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، واجعل خير أيامنا يوم نلقا

اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.....!

==========

🔻 الخطبة الثانية 🔻

الحمد لله حمدا كثيرا كما امر

والصلاة والسلام على محمد سيد البشر

الشفيع المشفع فى المحشر

صلى الله وسلم وبارك عليه ما اتصلت عين بنظر او سمعت اذن بخبر

فقد قال تعالى ولم يزل قائلا عليما وآمرا حكيما; تشريفا لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وتعظيما;

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ...

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ...

وبعد:

=◄ ثمرة هذه الخطبة تتمثل فى قول إبراهيم التيمي:

مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وألبس من حليها

ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج أغلالها قال: فقلت لنفسي: أي شيء تريدين قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قال: الآن أنت في الأمنية(يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فاعملي .

◄كم من الناس مَن يُباغته الموت وهو محارِبٌ لله ورسوله؛ بدفْع أقساط الربا الواجبة عليه، أو بأكْل الرشوة، أو ما حرَّم الله من أموال اليتامى وحصص أخواته من الميراث،

كم من النساء من أصرَّت على السفور والتبرُّج، والاختلاط مع الرجال ومُمازحتهم، بدعوى الانفتاح والتحرُّر، وترْك الانغلاق والتعصُّب!

كم من الناس مَن لَم يُبالِ أن يَقْبِض الله رُوحه وهو متلبِّس بمعصيته، ولا ريب أنَّ تلك نهاية بئيسة، طالَما خافَها المتقون، وتضرَّعوا إلى ربِّهم سبحانه أن يُجَنِّبهم إيَّاها.

← اللهم يا حى يا قيوم ياذا الجلال والإكرام نسألك..... مع الدعاء

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق للشيخ فوزي محمد أبو زيد

الحمد لله ربِّ العالمين، أتم علينا نعمته، وأكمل لنا كرامته، واختار لنا الإسلام ديناً، والقرآن كتاباً، ومحمداً صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بجزيل نعمائه، وأفردنا بعظيم آلائه، فلا يوجد في أرضه أو سمائه أناسٌ تمتعوا بنعمائه كعباده المؤمنين، فقد رزقهم سبحانه وتعالى بأرزاق الدنيا الظاهرة، وخصَّهم عزَّ شأنه بأرزاقه الباطنة، وجعلهم في الدنيا فالحين، وفي الآخرة سعداء وفائزين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، التي أنزلها لنا وعلينا الله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة ننال بِهَا رضاك، وتمنحنا بِهَا غفرانك وعفوك في الدنيا والآخرة، نحن وإخواننا وأبناءنا، وذرياتنا والمسلمين أجمعين.

أما بعد فيا إخواني ويا أحبابي:

لو نظرنا لنعم الله عزَّ وجل علينا نجدها تنقسم إلى قسمين: نِعَمٌ ظاهرة، ونِعَمٌ باطنة. أما النعم الظاهرة فهي التي نشترك نحن فيها أو يشترك معنا فيها الكافرون،والمشركون، والجاحدون، بل والحيوانات والطيور والأسماك وكل كائنات الله عزَّ وجل الأرضية وهذه النعم بعضها فينا، وبعضها حولنا .....

فالنعم التي فينا كنعمة السمع، ونعمة البصر، ونعمة اللسان، ونعمة العقل، ونعمة اليد، ونعمة الرجل، ونعم الأعضاء التي خلقها الله عزَّ وجل لنا جميعاً، ولا يستطيع واحدٌ منا أن يستغني عن عضو منها، بل لو اشتكى عضوٌ منها ألماً، لا يستطيع الإنسان النوم، ولا يجد الراحة، ويسارع إلى الأطباء والحكماء يلتمس عندهم الراحة والشفاء، باستخدام الدواء الذي يكتبه له الأطباء.

وهذه النعم، نحن والكافرون والمشركون والجاحدون فيها سواء، بل ربما يكونون فيها أعظم، ولهم فيها نصيب أكثر، لأن الله عزَّ وجل خصَّهم بنعم الحياة الدنيا، فهم أكثرُ منا صحة، وخيرٌ منا شكلاً وجمالاً ظاهراً وملامحاً. فهذه النعم يستوي فيها الجميع.

أما النعم التي حولنا كالمأكولات بأصنافها، والمشروبات بأنواعها، ونعمة الهواء، ونعمة الشمس، ونعمة الدفء، ونعمة الضياء، ونعمة القمر، ونعمة النجوم، وكل النعم التي حولنا، والتي سخرها لنا الله عزَّ وجل. وأيضاً قد يكون الكافر أكثر حظًّا منا فيها. وهذا ما يظهر فيما نراه الآن، فأمريكا وأوربا أكثر منا غنى بالخيرات الظاهرة، والنعم الظاهرة.

ولكن هذا كله أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: { إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً هُوَ أَبْغَضُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا بُغْضاً لَهَا}[1] وقوله صلى الله عليه وسلم: { ولَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ }[2]

إذن فَبِمَ نتميز أنا وأنت - يا أخي - على هؤلاء الكافرين والجاحدين؟ ... نتميَّز عليهم بنعمة الإسلام، ونعمة الإيمان، ونعمة الهداية ونعمة القرآن، ونعمة الولاية للرحمن، لأنك خصَّك الله وجعلك من عباد الرحمن الذي أثنى عليهم ووصفهم في القرآن بأوضح وأجلى بيان.

هذه النعم هي النعم الباطنة، وفيها يقول الله عزَّ وجل: { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً } (20-لقمان).

والنعم الباطنة نعمةٌ واحدة منها أغلى من الدنيا كلها بما فيها ومن فيها، فلو أنهم خيروك أن تجلس على عرش أمريكا ويكون العالم كله طوع أمرك، والبيت الأبيض بما فيه من نعم وخيرات رهن إشارتك، ولكن بشرط أن تموت على غير إيمان، هل ترضى بهذه النعمة؟ ..... بالطبع لا!! وألف لا !!!

ولهذا فنعمة الهداية - التي تفضل بها عليك الله عزَّ وجل- ونعمة الإيمان، هما أغلى نعمة يتفضل بها الله على أحبابه وعلى أهل ولايته وعلى أصفيائه، ولذا يذكرنا بها الله فيقول: { وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ - أهي الأكل والشرب والسكن واللبس؟ لا، لأن هذه يشترك فيها جميع الخلق، إذاً ما النعمة التي يُذَكِّرُنا بها الله عزَّ وجل؟ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا } (103-آل عمران).

فكأنه يقول - عزَّ وجل: اذكروا النعمة التي تقيكم من عذاب القبر، والنعمة التي توفقكم لحسن الخاتمة فتجعلكم تموتون مسلمين، والنعمة التي تبيِّض بها وجوهكم يوم الدين { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } (106-آل عمران)، والنعمة التي يثقِّل الله عزَّ وجل بها موازينكم، والنعمة التي يعطيكم الله بها كُتُبَكم بأيمانكم فتفرحوا وقت لقاء ربكم، والنعمة التي يثبتكم الله بها على الصراط يوم تزل الأقدام في نار جهنم، والنعمة التي تنجون بها من دار البوار، والنعمة التي تدخلون بها الجنة مع الأخيار، والنعمة التي تتمتعون بها بالنظر لوجه الله.

ما هذه النعمة يا إخواني؟ ... نعمة الإيمان ونعمة الإسلام ونعمة الهداية، وهي من الله عزَّ وجل بالكلية، فليس في استطاعة واحد منا أن يجلب الهداية لنفسه أو لغيره، حتى أنبياء الله ورسل الله لا يملكون الهداية لذويهم إلا بإذن من الله، ليعلمنا الله عزَّ وجل قدر هذه النعمة.

فهذا نبي الله نوح عليه السلام يمكث تسعمائة وخمسين عاماً يدعو قومه إلى الله عزَّ وجل ومن بينهم أقرب الناس إليه، وهو ولده الذي خرج من صلبه، ولكن الله عزَّ وجل لم يشأ له الهداية، فلم ينفعه بيان أبيه، ولم ينفعه خروجه من صلبه، ولم ينفعه أنه تربَّى في بيت النبوة، فعلَّمنا الله أن الهداية بسابق عنايته، وضرب لنا المثل بابن نوح حين ناداه وقال: { يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } (42، 43 -هود).

فلما غرق مع الكافرين قال نوح: { رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } .. وفي قراءة: { إِنَّهُ عَمِلَ غيرَ صالحٍ } (45،46- هود). فلم يستطع نبيُّ الله نوحٌ أن يهدي ولده الذي من صلبه يا عباد الله، لنعلم قيمة هذه الهداية، وقدر هذه العطية، ورفعة هذه المزية التي يتفضل بها علينا الله عزَّ وجل بلا ثمن دفعناه ولا شيء قدمناه.

وماذا فعلنا حتى اختار الله لنا الإسلام ديناً؟!!

وماذا أنفقنا حتى اختار الله عزَّ وجل لنا القرآن كتاباً؟!!

وماذا قدمنا حتى خصنا الله عزَّ وجل بالإيمان والإسلام؟!!

لم نُقدِّم قليلاً ولا كثيراً، ولكنها عناية الله، وفضل الله، وتكريم الله الذي خصَّنا به نحن جماعة المؤمنين.

ولكي نعلم هذه النعمة وقدرها ننظر للرجل الذي وهب حياته للدفاع عن نبيِّكم الكريم - وهو عمَّه أبو طالب - وأخذ على عاتقه طوال حياته أن يُدافع عنه ضد الكافرين، وأن يحميه من المشركين، فأراد النبي أن يكافئه فدعا الله له أن يهديه، فأجابه الله عزَّ وجل ليبيِّن لنا ما تفضل به علينا فقال: { إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء }4 (56- القصص). فعلمنا أن الهداية من الله عزَّ وجل.

فيا أخي المهتدي إلى دين الله، والعارف برسول الله، والمصدق بكتاب الله، لو عشت عمرك كله لا تجد لقمة عيش تسدُّ جَوْعتك، ولا ثوباً يستر عورتك، ولكن مِتَّ على قول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ماذا فاتك من خير الدنيا؟!! ماذا ينقصك من نعيم الدنيا بعد أن مِتَّ على خير الكلام، وعلى هَدْي سيِّد الأنام، وعلى وسام السعادة يوم لقاء الملك العلام؟!!

إن خير هديِّة، وخير نعمة أنعم بها علينا الله هي نعمة الإيمان، ولكننا لا ندري قيمتها، ولا نعرف حقيقتها، لأننا صرنا كبقية الخلق ننظر ونبحث عما يُشْبع بطوننا، وعما به نفتخر في شبابنا، وعن الرَّياش الذي نُؤسس به بيوتنا، وظنَّنا أن تلك هي النِّعم العظمى التي يتفضل بها الله على أحبابه!!

حتى وصل الأمر بجهلائنا أنهم جعلوها مقياس رضا الله، فيقولون: فلان رضي الله عنه، لأن الله رزقه مالا كثيرا ، أو ، أو رزقه كذا في الأرض أو في العقار، أو غيرها من عوالم الدنيا الدنيِّة، وظننَّا أن ذلك دليل على رضا الله!!!

وهذا خطأ!!! فلو كان المال ومُتع الدنيا دليل على رضا الله ما أعطى الكافرين ما نشاهده من هذه النعم، فقد أعطاهم عزَّ وجل الدنيا لهوانِها عليه.

أما الدليل على رضا الله فتجدوه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقهْهُ فِي الدينِ، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ }[4].

والدليل على رضا الله أن يفتح الله قلبك فتفتح كتاب الله، وتقرأه في الليل والنهار، ولا تملّ منه، بل تريد الاستكثار، لأنك تحسّ فيه برضا الواحد القهار.

والدليل على رضا الله عزَّ وجل أن يفتح الله عليك باب العمل الصالح، لأنه هو المتْجر الرابح الذي يجعلك تخرج من الدنيا فتجد سعْيك مشكوراً، فيقول الله تعالى لك ولأمثالك: { وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا } (22- الإنسان).

فالله تعالى يقول هذا لمن سعى في العمل الصالح، أما من يسعَى في الدنيا ويكدّ فيها فإنه لا ينال إلا ما كُتب له، ولا يأخذ منها إلا ما قدَّره الله عزَّ وجل له، فإن كان ذلك على حساب دينه فقد خسر الدنيا والآخرة.

فالفتح الحقيقي والرضا الحقيقي من الله على العبد أن يُلْهمه الطاعة، وأن يُوفِّقه لعمل البرِّ ولعمل الخير، فإن وفَّقه الله لذلك فهذا دليل على أنَّه دخل في قول الله تعالى: { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } (8-البينة). فهذا دليل الرضا من الله.

نسأل الله عزَّ وجل حسن لقاءه، وأن يوفِّقنا لطاعته حتى يوم نلقاه، وأن يختم لنا جميعاً بالإيمان

قال صلى الله عليه وسلم: {التائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له} ،

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي وفَّقنا للهدى واختارنا من عباده المؤمنين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تنفع قائلها في الدنيا وترفعه يوم الدين،

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، الصادق الوعد الأمين.

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد بحر الصدق واليقين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فيا إخواني ويا أحبابي

المؤمن يعلم علم اليقين أن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء، فهو دائما خائف - ومن خاف سَلِمَ - خائف من سوء الخاتمة، خائف من المكر الإلهي، خائف من قول الله عزَّ وجلَّ: (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) (39الرعد).

وانظر إلى من بشَّره حضرة النبي صلى الله عليه وسلَّم وهو أبوبكر رضي الله عنه حين قال: (المحيى هكذا - ووضع يده اليمين على كتفه - والممات هكذا، والمبعث غداً يوم القيامة هكذا)[5]. مع ذلك كان يقول: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة)[6].

صاحب العصمة؛ نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ السلام، كان كل ما يتمناه: (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (101يوسف).

سيدنا إبراهيم الخليل وأبناؤه الطيبون المباركون، ماذا كان دعاؤه لأولاده؟ وماذا كانت وصيّته لأولاده وأحفاده؟ حتى نتعلم!!. دعاؤه لأولاده: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا) (40الرعد). يدعو لهم بإقامة الصلاة، هم والذرية!!.، وهناك أكثر من آية في القرآن تُكرر الدعاء بنفس المعني: (إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) - لماذا؟ (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) (37الرعد). أيضاً أهم شيء يبحث عنه هو إقامة الصلاة. (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (132البقرة).

حاول أنك تؤمِّن نفسك بحُسن الخاتمة،

وحُسن الخاتمة ماذا تحتاج يا أحبَّة؟

البُعد عن الكبائر والصغائر والمعاصي كلها ما ظهر منها وما بطن،

لقوله صلى الله عليه وسلَّم: (يُبعث المرء على ما مات عليه)[7]. من الجائز وأنا ماشي في طاعة الله وسوَّلت لي نفسي في لحظة معصيةً واسترسلتُ معها وجاء الموت، فماذا يحدث؟ (يُبعث المرء على ما مات عليه).

وحضرة النبي حذَّر من ذلك فقال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها). وحتى لا نخاف فإنها ليست لنا، ولكن للمنافقين الذين يعبدون الله طلباً لرضاء خلق الله وليس لله، لكن من يعبد الله لله خارج هذه الفقرة، لأنه سيدخل في حقيقة الحديث:

(ومن الناس من يعمل بعمل أهل النار، حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[8].

فعلينا الاستعداد لحُسن الخاتمة بترك المعاصي بالكلية والمواظبة على الأوامر التي أمرنا بها ربُّ البرية، والمتابعة في أدائها للحضرة المحمدية،

وأن نُحسن الظن بالله على الدوام. فالمؤمن دائماً علامته حُسن ظنه بربِّه، قال الله تعالى في حديثه القدسي: (أنا عند حُسن ظنِّ عبدي بي)[9]. فمن يظن خيراً يجد خيراً، ولذلك كان صلى الله عليه وسلَّم يزور رجلاً من الأنصار مريضاً، فقال: كيف أجدك؟ - قال: أخشى ذنوبي وأطمع في فضل ربي، فقال صلى الله عليه وسلَّم: (لا يجتمعان في قلب عبدٍ في تلك الساعة إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف)[10].

ولذلك دائماً المؤمن يُحسن الظن بالله، ولا يظهر ذلك إلا في أوقات الشدائد، فكثير من المؤمنين في أوقات الشدائد والصعاب تتغير أحواله وتنقلب أطواره، ويبدأ أحياناً تهتَّز ثقته بالله عزَّ وجلَّ في نفسه، وأحياناً يريد أن يعاتب الله ويقول: لماذا تفعل بي كذا وكذا، وأحياناً وهذا أقسى، يشكو الله إلى خلق الله - وماذا يصنع لك الخلق؟!! - يقول: لا أعلم لماذا يفعل ربي بي هكذا؟ وأنا أصنع كذا وكذا!! ويُثني على نفسه، لا، اجعل نفسك دائماً حَسن الظن بالله عزَّ وجلَّ،

قال صلى الله عليه وسلَّم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره له كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له)[11].

ونبيُّكم صلى الله عليه وسلَّم خيَّره ربُّه وأرسل إليه أمين الوحي جبريل، وقال: (إن ربك يُخيِّرك إن شئت نبيًّا ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً – يجعل لك ملكاً وتكون ملكاً ويكون لك كل شيء والصولجان.

فقال صلى الله عليه وسلَّم: بل نبياً عبداً، أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعت صبرت ونلت أجر الصابرين، وإذا شبعت شكرت فنلت أجر الشاكرين)[12]. هل يجوز لمسلمٍ بعد ذلك إلى يوم الدين أن يستقيم له الأمر على حالة واحدة من هذه الأحوال؟ لابد أن يتقلب بين هذا وذاك، ليُظهر إيمانه، وتظهر تقواه، ويظهر له حسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلَّم. ..... ثم الدعاء

****

[1] الحاكم في تاريخه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

[2] سنن ابن ماجه عن سهل بن سعد

[3] رواه الشيخان وأحمد عن معاوية والترمذي عن ابن عباس والبزَّار عن ابن مسعود والبيهقي عن أنس.

[4] مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة عن العرباض بن سارية.

[5] وروى الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد ، وأبو بكر وعمر معه وهو آخذ بأيديهما، فقال: (هكذا نبعث يوم القيامة) .

[6] كتاب طبقات الشافعية الكبرى: الطبقة الرابعة : وقد قال عمر رضي الله عنه: (لو أن رجلي الواحدة داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله).

[7] مسلم عن جابر رضي الله عنه.

[8] روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قوله صلى لله عليه وسلم: (فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، وروى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ: {الْتَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَاقْتَتَلُوا فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَقَالُوا أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ، حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)}.

[9] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يقول: (أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني).

[10] ابن ماجة والترمذي عن أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: "كَيْفَ تَجِدُكَ؟"، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ).

[11] مسلم عن صهيب رضي الله عنه.

[12] روى أحمد وأبو يعلى والبزار وابن حبان وابن أبي شيبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: (جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ :بَلْ عَبْدًا رَسُولًا).

العلم ميراث النبي للشيخ أحمد محمد أحمد أبو إسلام

الخطبة بعنوان ((السعيد من رزقه الله بحسن الخاتمة))
عناصر الخطبة
1)) السعيد من رزقه الله بحسن الخاتمة
2)) نماذج من الذين رزقهم الله بحسن الخاتمة
3))من علامات حسن الخاتمة
4))من علامات سوء الخاتمة

الخطبة الأولى

الحمْدُ للهِ الواحدِ القَهَّارِ, العَزيزِ الغَفَّارِ, مُكَوِّرِ اللَّيْلِ على النَّهَارِ, تَذْكِرَةً لأُولي القُلُوبِ والأَبصَارِ, وتَبْصرَةً لِذَوي الأَلبَابِ والاعتِبَارِ, الَّذي أَيقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنِ اصطَفاهُ فَزَهَّدَهُمْ في هذهِ الدَّارِ, وشَغَلَهُمْ بمُراقبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأَفكارِ, ومُلازَمَةِ الاتِّعَاظِ والادِّكَارِ, ووَفَّقَهُمْ للدَّأْبِ في طاعَتِهِ, والتَّأَهُّبِ لِدَارِ القَرارِ, والْحَذَرِ مِمّا يُسْخِطُهُ ويُوجِبُ دَارَ البَوَارِ, والمُحافَظَةِ على ذلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ والأَطْوَارِ. أَحْمَدُهُ أَبلَغَ حمدٍ وأَزكَاهُ, وَأَشمَلَهُ وأَنْمَاهُ.
وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ البَرُّ الكَرِيمُ, الرؤُوفُ الرَّحيمُ, وأشهَدُ أَنَّ مُحمّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ, وحبِيبُهُ وخلِيلُهُ, الهَادِي إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقيمٍ, والدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَويمٍ, صَلَوَاتُ اللهِ وسَلامُهُ عَليهِ, وَعَلَى سَائِرِ النَّبيِّينَ, وَآلِ كلٍّ, وسائر الصالحين.
أَما بعد

السعيد من رزقه الله بحسن الخاتمة

أحبتي في الله للخاتمة الحسنة أسباب كثيرة منها: المداومة على الخير، وتجديد التوبة باستمرار، والحذر من مكر الله، والخوف منه سبحانه، والصدق في عبادته جل في علاه.
وموضوع حسن الخاتمة نبحث عنه كلنا، ويجب أن نبحث عنه كلنا، فأنت لما تزرع شجرة عنب لا تظن أنك تجني منها الشوك، فكذلك لا تظن أنك تظلم الناس ثم تموت بحسن خاتمة، ولا تظن أنك تفتري على الناس، وتحقر من شأنهم، وتتكبر عليهم، وتتألى عليهم، أو تصيّر نفسك من طينة أو من عجينة غير الطينة والعجينة التي خلق منها الناس، وتظن أن هناك حسن خاتمة

تنتظرك!, فالرسول صلى الله عليه وسلم هيأه تفوقه أن يكون واحداً فوق الجميع، فعاش بتواضعه واحداً بين الجميع، وهكذا يجب أن نكون، أي: يجب أن يكون الشخص محمدي النزعة، محمدي السلوك، محمدي التصرف.

أيها الأحبة في الله حسن الخاتمة هو أن يموت الإنسان على عمل من أعمال الخير ،فقد ورد في سنن الترمذي في الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ»

حبيبي في الله

تزود للذي لابد منه فإن الموت ميقات العباد
وتب مما جنيت وأنت حي وكن متهيأ قبل الرقاد
ستندم إن رحلت بغير زاد وتشقي إذ يناديك المناد
أترضي أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

جعلني الله وإياكم ممن أراد بهم الخير فأحسن خاتمتهم، معاشر الأحباب إن من كتب الله له السعادة وفاز بحسن الخاتمة كان من أول البشرى له في ساعة الاحتضار بشرى من الملائكة الكرام حيث أخبر عن ذلك قيوم السموات والأرض {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)} [فصلت: 30]

وهناك بشرى بعد الموت أيها الأحبة فإن العبد الصالح أيها الأحبة في الله إذا حضرته الوفاة ورأى البشرى بالنجاة أحب لقاء الله فيحب الله لقائه, فقد ورد في صحيح مسلم **عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»**

ولا شك أن من يصل إلى هذه البشريات لا بد وأن يكون له رصيد من الأعمال الصالحة والطاعة لله رب العالمين فهاهو بلال بن رباح لما حضرته الوفاة وكان في سكرات الموت

كانت امْرَأَتُهُ تقول : واحزناه! , فَقَالَ سيدنا بلال : وَافَرَحَاهُ!.

غدًا نلقي الأحبة ... محمدًا وحزبه))(سير أعلام النبلاء ط الحديث (3 / 218):

الخوف دائما من الله هو الذي يوصلك إلى أعلى المنازل وأرفع الدرجات ,فقد ورد في سنن الترمذي في الحديث الصحيح قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ))

المحروم من حرم حسن الخاتمة نسأل الله عز وجل حسنها-: عجيب أمرك أيها المحروم! إنك تعلم أن الموت حق، وأنه نهاية الجميع، ومع ذلك تصر على حالك وأنت تسمع هذه الكلمات مراراً وتكراراً.

أيها الأخ! ويا أيتها الأخت! ليس العيب أن تخطئ، ولكن العيب الاستمرار على الخطأ، أيهما تريد: أن تموت على خير أو على شر؟! أقول هذا لأننا نرى ونسمع نهاية بعض المحرومين، نسأل الله حسن الخاتمة.

الصالحون كانوا دائما يذكرون الموت ويعملون لذالك رزقهم الله حسن الخاتمة.

نماذج من الذين رزقهم الله بحسن الخاتمة

مالك بن دينار

فهاهو مالك بن دينار مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق.

وكانوا يدخلون وهو في مرض موته **وهو يكيد بنفسه ,ويرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج..**

عمر بن عبد العزيز

وهاهو عمر بن عبد العزيز انه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال أجلسوني فأجلسوه ثم قال يارب أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكن لا اله إلا الله ثم رفع رأسه وأحد النظر فقالوا له انك لتنظر نظرا شديدا فقال أني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جان ثم قبض رضي الله عنه.

آدم بن إياس

وهاهو آدَمُ بْنُ إِيَاسٍ لما حضرته الْوَفَاةُ خَتَمَ الْقُرْآنَ وَهُوَ مُسَجًّى ثُمَّ قَالَ بِحُبِّي لَكَ إِلا رَفَقْتَ بِي فِي هَذَا الْمَصْرَعِ كُنْتُ أُؤَمِّلُكَ لِهَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَرْجُوكَ ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ثُمَّ مات

((صفة الصفوة (2 / 170):

وهاهو ذو النون عِنْدَ مَوْتِهِ كان يقول :

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي ... وَلا رُوِيَتْ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ الْمُنَى أَنْتَ لِي مُنَى ... وَأَنْتَ الْغِنَى كُلُّ الْغِنَى عِنْدَ إِقْتَارِي

وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي ... وَمَوْضِعُ آمَالِي وَمَكْنُونُ إِضْمَارِي

تَحَمَّلَ قَلْبِي فِيكَ مَالا أَبُثُّهُ ... وَإِنْ طَالَ سُقْمِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي

وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْك مَالا أَبُثُّهُ ... وَلَمْ أُبْدِ بَادِيَةً لأَهْلٍ وَلا جَارِ

سَرَائِرُ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَفِيُّهَا ... وَإِنْ لَمْ أَبُحْ حَتَّى التَّنَادِي بِأَسْرَارِي

فَهَبْ لِي نَسِيمًا مِنْكَ أَحْيَا بِرُوحِهِ ... وَجُدْ لِي بِيُسْرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَارِي ...

أبو نواس

وعن محمد بن نافع أنه كان يقول كَانَ أَبُو نُوَاسُ لِي صَدِيقًا فَمَاتَ فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ قَالَ غَفَرَ لِي بِأَبْيَاتٍ قُلْتُهَا هِيَ تَحْتَ الْوِسَادَةِ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَإِذَا رُقْعَةٌ فِيهَا شِعْرٌ مَكْتُوبٌ وَهُوَ ...

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمن ذَا يرحم

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلا الرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ ..

عبادة بن الصامت

عَنِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَهْلا لِمَ تَبْكِي فَوَاللَّهِ لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لأَشْهَدَنَّ لَكَ وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ مَا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلا قَدْ حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلا حَدِيثًا وَاحِدًا سَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ

أبو هريرة رضي الله عنه

فها هو أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ قيل شَفَاكَ اللَّهُ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّ لِقَاءَكَ فَأَحِبَّ لِقَائِي فما زال يقولها حَتَّى مَاتَ رَضى الله عنه .

سعيد بن جبير

وهاهو سعيد بن جبير نموذج رائع في حسن الخاتمة الْحَجَّاجَ بَعَثَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَأَصَابَهُ الرَّسُولُ بِمَكَّةَ فَلَمَّا سَارَ بِهِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ رَآهُ يَصُومُ نَهَارَهُ وَيَقُومُ لَيْلَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنِّي ذَاهِبٌ بِكَ إِلَى مَنْ يَقْتُلُكَ فَاذْهَبْ أَيَّ الطَّرِيقِ شِئْتَ فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ إِنَّهُ سَيَبْلُغُ الْحَجَّاجُ أَنَّكَ قَدْ أَخَذْتَنِي فَإِنْ خَلَّيْتَ عَنِّي خِفْتُ أَنْ يَقْتُلَكَ وَلَكِنِ اذْهَبْ بِي إِلَيْهِ فَذَهَبَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مَا اسْمُكَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ
فَقَالَ أُمِّي سَمَّتْنِي قَالَ شَقِيتَ قَالَ الْغَيْبُ يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ قَالَ الْحَجَّاجُ أَمَا وَاللَّهِ لأُبْدِلَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَارًا تَلَظَّى قَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَا اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرَكَ فَسَأَلَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ إِلَى أَنْ قَالَ بُتَّ فِي عِلْمِكَ قَالَ إِذًا أَسُوءُكَ وَلا أَسُرُّكَ قَالَ بُتَّ قَالَ نَعَمْ ظَهَرَ مِنْكَ جَوْرٌ فِي حَدِّ اللَّهِ وَجُرْأَةٌ عَلَى مَعَاصِيهِ بِقَتْلِكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ قَالَ وَاللَّهِ لأُقَطِّعَنَّكَ قِطَعًا قَالَ إِذًا تُفْسِدُ عَلَيَّ دُنْيَايَ وَأُفْسِدُ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ وَالْقِصَاصُ أَمَامَكَ قَالَ الْوَيْلُ لَكَ قَالَ الْوَيْلُ لِمَنْ زُحْزِحَ عَنِ الْجَنَّةِ وَأُدْخِلَ النَّارَ قَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ قَالَ سَعِيدٌ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ لِيُقْتَلَ تَبَسَّمَ

فَقَالَ الْحَجَّاجُ مِمَّ ضَحِكْتَ قَالَ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ أَضْجِعُوهُ لِلذَّبْحِ فَأُضْجِعَ فَقَالَ {وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} فَقَالَ اقْلِبُوا ظَهْرَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَقَرَأَ سَعِيدٌ {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله} فَقَالَ كُبُّوهُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَرَأَ سَعِيدٌ {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نخرجكم تَارَة أُخْرَى} فَذُبِحَ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ فَقَالَ اللَّهُمَّ يَا قَاصِمَ الْجَبَابِرَةِ اقْصِمِ الْحَجَّاجَ فَمَا بَقِيَ إِلا ثَلاثًا حَتَّى وَقَعَ الدُّودُ فِي جَوْفِهِ فَمَاتَ.

الحسن البصري

وهاهو الحسن البصري لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَخَلَ عَلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا زَوِّدْنَا مِنْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ قَالَ إِنِّي مُزَوِّدُكُمْ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ ثُمَّ قُومُوا وَدَعُونِي لِمَا تَوَجَّهْتُ لَهُ مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ مِنْ أَمْرٍ فَكُونُوا مِنْ أَتْرَكِ النَّاسِ لَهُ وَمَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ فَكُونُوا مِنْ أَعْمَلِ النَّاسِ بِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ خُطَاكُمْ خُطْوَةٌ لَكُمْ وَخُطْوَةٌ عَلَيْكُمْ فَانْظُرُوا أَيْنَ تَغْدُونَ وَأَيْنَ تَرُوحُونَ وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُغْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَفِيقُ وَيَقُولُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا وَتَسْلِيمًا لأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قُبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ

سيدنا داوود عليه السلام

وكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ غِيرَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ الأَبْوَابَ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ غُلِّقَتِ الأَبْوَابُ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَطَّلِّعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَتْ مَنْ فِي الْبَيْتِ مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ وَاللَّهِ لَيُفْضَحَنَّ فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الَّذِي لَا يَهَابُ الْمُلُوكَ وَلا يُمْتَنَعُ مِنْهُ الْحُجَّابُ قَالَ فَأَنْتَ إِذَنْ مَلَكُ الْمَوْتِ مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ فَرُمِلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قبضت نَفسه

((الثبات عند الممات (1 / 164

فتلك نماذج وفقها الله تعالى لحسن الخاتمه فالسعيد من وفقه الله لحسن الخاتمة فإن في الساعات الأخيرة في عمر الإنسان تظهر دلائل وعلامات على حسن الخاتمة فإن كانت خيرا فخير حيث يستبشر بها صاحبها خيرا وتطمئن بها نفسه وإن كان سوى ذالك عياذا بالله فقد غوى .

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، الملك الحق المبين الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وقد وسع كل شيء رحمة وعلما، أحمده سبحانه وبحمده يلهج أولو الأحلام والنهى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم السر والنجوى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى كلمة التقوى، اللهم صلى على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أئمة العلم والهدى، وسلم تسليما كثيرا.

من علامات حسن الخاتمة

قول لاإله إلا الله

فمن علامات حسن الخاتمة قول لا إله إلا الله فقد ورد في سنن أبي داوود في الحديث الصحيح **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**

عرق الجبين

وعرق الجبين دليل على حسن الخاتمة فقد ورد في مسند أحمد في الحديث **عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ بِخُرَاسَانَ، فَعَادَ أَخًا لَهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَوَجَدَهُ بِالْمَوْتِ، وَإِذَا هُوَ يَعْرَقُ جَبِينُهُ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ "**

ومن علامات حسن الخاتمة الموت في ليلة الجمعة ,فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ـ قَالَ حَسَنٌ: ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ـ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "((

مسند أحمد مخرجا (38 / 350):

ثناء الناس خيرا

ومن علامات حسن الخاتمة أن يثني الناس عن الميت خيرا فقد ورد في صحيح البخاري **عن عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»** فالموفق من وفقه الله لهذه العلامات و هذه البشريات و لا يأتي هذا إلا بالإنشغال بذكر الله عز وجل وطاعته واتباع أوامره

فإن من عاش على طاعة الله منشغلا بها حريصا عليها مبتغيا بها وجه الله عز وجل أما إذاابتغيت بها الدنيا وثناء الناس عليك فلك ما أردت .,وهاهو رجل كان يجاهد جهادا ويبلى بلاء حسنا في القتال لكنه سرق شيئا من الغنيمة فكان من أهل النار فقد ورد **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا إِلَّا الْأَمْوَالَ الثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ قَالَ فَأَهْدَى رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِوَادِي الْقُرَى بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ فَأَصَابَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا)) قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى** رسول الله صلى الله عليه لأنه خاف من هذا الوعيد الشديد .

ومن علامات سوء الخاتمة كذلك، أن ينجح الشيطان في غواية ابن آدم، فيفتنه عن دينه في لحظاته الأخيرة والعياذ بالله, مثل الرجلان اللذان يسكنان في منزل واحد، أحدهما في الطابق الأرضي والآخر في الطابق العلوي, الأول مؤمن وصالح يعبد الله منذ أربعين سنة والآخر عاصي وفاجر يعصي الله منذ

أربعين سنة. وفي يوم ما، قال المؤمن أنا أعبد: الله وأطيعة منذ أربعين سنة أظنها كافية, أستطيع أن أعصي اليوم. وقال الفاجر: أنا أعصي ربي منذ أربعين سنة يكفيني بعداً عن الله وأتوب اليوم, أتدرون ما الذي حصل؟ المؤمن أتاه الموت ولكن للأسف كانت نيته معصية الله فخسر الدنيا والآخرة, والعاصي أتاه الموت وهو على توبة فكسبالدنيا والآخرة !!!,

نتعلم من هذه القصة الثبات على طاعةالله

من الضروري أن ندعو الله كل يوم بالثبات, إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يثبته إلى آخر لحظة في عمره لأنها لحظة خطيرة جداً, وهي التي تحدد مصير الميت, إما الجنة أو النار, وكان عليه الصلاة والسلام يكثر من هذا الدعاء « اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » ويكثر منها أن ندعوا الله بها في السجود ب فالدعاء مستجاب في. ونتعلم من هذه القصة أيضاً، إخلاص النية لله وجل وترك الرياء. أحياناً يكون العمل الصالح صغيراً، ولكن النية الخالصة لله تجعله عملا كبيرا في أجره وثوابه،كالاستحمام بنية أن النظافة من الإيمان وبنية إظهار الإسلام بأنه دين نظافة وطهر، وكذلك زيارة الأقارب بنية صلة الرحم. وأحيانا يكون العمل كبيراً، كالتصدق بألف دينار أو درهم أو ريال، ولكن نية المتصدق أن يقال له كريماً أو مؤمناً

أسأل الله ذو الجلال والإكرام أن يحسن خاتمتنا وأن يجعلنا من عباده الصالحين الثابتين على طاعته، وأن يجعلنا من الفائزين برضاه وبالجنة والحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حُسْنُ الْخَاتِمَةِ بَيْنَ الِاجْتِهَادِ وَالتَّوْفِيقِ للشيخ محمد سعيد

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

((تَوَاضُعُ الصَّالِحِينَ وَعَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالنَّفْسِ))

فَقَدْ أَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ-: عَنْ عَبَّاسٍ الدُّورِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي فَزَارَةَ، وَكَانَ جَارًا لَنَا قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مُقْعَدَةً مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَقَالَتْ لِي يَوْمًا: يَا بُنَيَّ، اذْهَبْ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَاسْأَلْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لِي عَسَى اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ فَيُبْرِئَنِي مِنَ الْمَرَضِ الَّذِي أَلَمَّ بِي.

قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ فَإِذَا هُوَ فِي دِهْلِيزٍ لَهُ وَرَاءَ الْبَابِ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ: مَنْ؟

قُلْتُ: فُلَانٌ، وَقَدْ أَرْسَلَتْنِي أُمِّي وَهِيَ مُقْعَدَةٌ مُنْذُ عِشْرِينَ، تَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لَهَا.

فَقَالَ: فَأَجَابَنِي مُغْضَبًا، وَقَالَ: بَلْ أَنَا أَحْوَجُ إِلَى دُعَائِهَا مِنْهَا إِلَى دُعَائِي.

سَلْهَا أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي.

قَالَ: فَانْصَرَفْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ أَحْمَدَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-، فَقَالَتْ: قَدْ تَرَكْتُهُ يَدْعُو اللهَ لَهَا.

قَالَ: فَعُدْتُ إِلَى بَيْتِنَا، فَضَرَبْتُ الْبَابَ، فَخَرَجَتْ أُمِّي فَفَتَحَتْ لِيَ الْبَابَ)).

وَلَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي قَوْلِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ-: ((بَلْ أَنَا أَحْوَجُ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لِي مِنْ أَنْ أَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَهَا)).

فِي هَذَا النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَمُرَاعَاةِ جَانِبِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّادِقُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

((الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ))

قَالَ تَعَالَى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} [الأعراف: 175-176].

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ضَرَبَ الْمَثَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ لِعَالِمِ السُّوءِ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ آيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْفَعَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا عَلَى النَّاسِ دَرَجَاتٍ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْسِنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَاقِبَتَهُ إِذَا مَا أَخَذَ بِهَا، وَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا، وَسَارَ عَلَى نَهْجِهَا.

فَمَاذَا صَنَعَ؟

أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَانْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

فَضَرَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ الْمَثَلَ {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}.

وَهُوَ مَثَلٌ مُفْظِعٌ جِدًّا، ضَرَبَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِكُلِّ مَنِ انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْرًا وَنَهْيًا، وَالْتِزَامًا وَعَمَلًا، وَجَعَلَ كِتَابَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَدَبْرَ أُذُنَيْهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُعَوِّلْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ بِكِتَابِ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا- كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ-: ((لَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَتَدَبَّرُهُ وَيَفْقَهُ مَعَانِيَهُ، وَإِنَّمَا حَدَثَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَقْوَامٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَا يَفْقَهُونَهُ، وَلَا يَفْهَمُونَ مَا يَتْلُونَ مِنْ آيَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)).

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ جَعَلَهَا بِدْعَةً؛ لِأَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلَا مَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

وَعَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: ((أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ النِّفَاقِ)).

أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ يَخْشَوْنَ النِّفَاقَ، وَيَخْشَوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يُوَاقِعُوهُ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

*أَقْوَامٌ آتَاهُمُ اللهُ الْإِيمَانَ ثُمَّ خُتِمَ لَهُمْ بِالنِّفَاقِ وَالْكُفْرِ:

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ضَرَبَ الْمَثَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ بِأَقْوَامٍ آتَاهُمُ الْإِيمَانَ، ثُمَّ خَتَمَ لَهُمْ بِالنِّفَاقِ وَالْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، وَبَشَّرَهُمْ بِالنِّيرَانِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة: 65-66].

فَانْظُرْ إِلَى آيَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَدَبَّرْ فِيهَا مَلِيًّا، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ أَثْبَتَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ إِيمَانًا، ثُمَّ وَصَمَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى بَاحَةِ النِّفَاقِ -عِيَاذًا بِاللَّهِ وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الْعَظِيمِ-.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ} يَا مُحَمَّدُ {لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}، وَذَلِكَ كَمَا أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ: ((أَنَّهُ فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ -هِيَ غَزْوَةُ تَبُوكٍ- جَلَسَ الْمُنَافِقُونَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ((لَمْ أَرَ كَقُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا)).

يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

((لَمْ أَرَ كَقُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا))، يَعْنِي: أَوْسَعَ بُطُونًا، وَأَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَأَكْذَبَ أَلْسُنًا.

فَقَالَ رَجُلٌ: ((بَلْ أَنْتَ مُنَافِقٌ تَتَكَلَّمُ بِالنِّفَاقِ، وَلَأُحْمِلَنَّهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ)).

فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ الْوَحْيَ قَدْ سَبَقَهُ، وَأَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}.

وَبِالْفِعْلِ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَعْتَذِرُونَ، يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّمَا كُنَّا نُمَضِّي الْوَقْتَ، وَنَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ الرَّكْبُ، نُزْجِي أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ.

فَالرَّسُولُ ﷺ كَمَا بَيَّنَ أَصْحَابُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- قَائِمٌ عَلَى نَاقَتِهِ قَدِ ارْتَحَلَهَا، وَضَعَ عَلَيْهَا رَحْلَهُ، وَرَكِبَ فَوْقَهَا ﷺ، وَجَاءَ مَخْشِيُّ بْنُ حُمَيِّرٍ --رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَعَفْوُهُ-، فَأَمْسَكَ بِنِسْعَةِ رَحْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ -وَهُوَ حَبْلٌ مَضْفُورٌ يَكُونُ كَالزِّمَامِ لِلنَّاقَةِ-، وَرِجْلَاهُ تَضْرِبَانِ فِي أَحْجَارِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي.

فَاسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَابَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْآخَرُونَ؛ فَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَعْتَذِرُونَ، فَلَا يَزِيدُهُمُ الْمَأْمُونُ ﷺ عَلَى قَوْلِهِ: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

لَا يَزِيدُهُمْ عَلَيْهَا ﷺ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ} وَهُوَ مَخْشِيُّ بْنُ حُمَيِّرٍ --رَحِمَهُ اللهُ- وَعَفْوُهُ-.

وَكَانَ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِهِ: أَنْ دَعَا اللهَ -جَلَّ وَعَلَا- أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا، وَأَنْ يُغَيَّبَ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَتْ جُثَّتُهُ، فَمَاتَ --رَحِمَهُ اللهُ- وَعَفْوُهُ- فِي (الْيَمَامَةِ) عِنْدَمَا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يُقَاتِلُونَ أَتْبَاعَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ الْمُتَنَبِّئِ.

فَمَاتَ شَهِيدًا، وَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ عَنْ جُثَّتِهِ، فَلَمْ يُدْرَ لَهَا خَبَرٌ، وَلَمْ يَعْثُرْ لَهَا عَلَى أَثَرٍ وَلَا عَيْنٍ -رَحِمَهُ اللهُ-.

يَقُولُ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}.

وَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَخُوضُونَ وَيَلْعَبُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَقُولُونَ.

وَأَمَّا اللهُ -جَلَّ وَعَلَا-؛ فَيُرَاجِعُهُمْ فِي أَمْرٍ دَقِيقٍ {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَثْبَتَ لَهُمُ الْإِيمَانَ، وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرَانِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ.

فَالْعَبْدُ الْمُسْلِمُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَّا يَرْكَنَ إِلَى ظَاهِرِ الْأَمْرِ فِيمَا وَفَّقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَخْشَى سُوءَ الْخَاتِمَةِ.

((سُؤَالُ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ الثَّبَاتَ عَلَى الدِّينِ))

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: ((اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ)).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْثَرِ مَا يَدْعُو بِهِ رَبَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ((اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)).

يَقُولُ أَنَسٌ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ؛ أَفَتَخْشَى عَلَيْنَا؟)).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّمَا قُلُوبُ الْخَلْقِ جَمِيعًا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَالنَّبِيُّ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

((اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ قُلُوبَ الْخَلْقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا سَبَقَ الْكِتَابُ عَلَيْكَ؛ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَلِذَلِكَ كَانَ سُفْيَانُ -رَحِمَهُ اللهُ- يَسْأَلُ النَّاسَ كَثِيرًا، يَقُولُ: هَلْ بَكَيْتَ عَلَى سَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِيكَ؟

فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ: تَرَكْتَنِي لَا أَفْرَحُ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ -جَلَّ وَعَلَا- بَاكِيًا، وَيَقُولُ: ((يَا رَبِّ؛ قَدْ عَلِمْتَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَفِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُتِبَ مَالِكٌ؟

وَيَبْكِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى سَابِقِ عِلْمِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ)).

((لَا تَغْتَرَّ بِالظَّاهِرِ وَاسْأَلْ رَبَّكَ الْإِخْلَاصَ))

الرَّسُولُ ﷺ الْمُؤَيَّدُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وَالَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا يُوحِي إِلَيْهِ رَبُّهُ -جَلَّ وَعَلَا- كَمَا فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي ((صَحِيحَيْهِمَا)): ((أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَخْرَجًا -يَعْنِي فِي غَزَاةٍ مِنْ غَزَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ-، وَأَبْهَمَهُ سَهْلٌ -رَحِمَهُ اللهُ-: وَبَيَّنَهُ غَيْرُهُ، فَقَالُوا: هُوَ قُزْمَانُ، وَكَانَ مُنَافِقًا.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَ: فَكَانَ لَا يَدَعُ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّخَذَهَا، لَا يَنِدُّ مِنَ الْجَيْشِ فَارِسٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الصَّفِّ خَارِجٌ إِلَّا انْدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِسَيْفِهِ، يَلْقَى الْحُتُوفَ، وَيُلْقِي بِنَفْسِهِ فِي مَوَارِدِ الْهَلَاكِ بِشَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ، وَقُدْرَةٍ مُتَنَامِيَةٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ الْأَصْحَابُ يَوْمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ فَرَغُوا مِنْ يَوْمِ الْتِحَامٍ وَيَوْمِ لِقَاءٍ، قَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)).

فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا صَاحِبُهُ.

فَلَمَّا جَاءَتِ الْمَعْرَكَةُ؛ خَرَجَ فَجُرِحَ جُرْحًا بَلِيغًا، وَأَتَتْهُ جِرَاحَةٌ عَظِيمَةٌ، فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَلَمِهَا، فَجَعَلَ نَصْلَ سَيْفِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَوَضَعَ ذُبَابَهُ -يَعْنِي: طَرَفَهُ الْأَعْلَى بَيْنَ ثَدْيَيْهِ-، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ.

قَالَ: فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ،فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا ﷺ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((وَمَا ذَاكَ؟)).

يَعْنِي: وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ جَهَارًا نَهَارًا وَأَنَا أَعْلَمُهُ مِنْكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْتَكِنٌّ فِي قَلْبِكَ، ظَاهِرٌ عَلَى جَوَارِحِكَ؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَانَ مِنْ حَالِ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَقُلْتَ فِي شَأْنِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ، ثُمَّ وَقَعَ مِنْ أَمْرِهِ مَا وَقَعَ، وَقَتَلَ نَفْسَهُ، وَلَقِيَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ)).

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي ((الصَّحِيحَيْنِ)) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: ((مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَقْعَدَهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهَا مِنَ النَّارِ، وَعَلِمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ هِيَ أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ)).

فَقَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ -يَعْنِي: الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَعْرِفَةِ أَهْلِ النَّارِ-، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا، بَلِ اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)).

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (10)} تَلَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ))، وَهُوَ فِي ((الصَّحِيحَيْنِ)) مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا)).

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَثَلُ الْأَعْمَالِ كَمَثَلِ الْإِنَاءِ؛ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ)).

فَالرَّسُولُ ﷺ يُنَبِّهُنَا إِلَى عِلْمِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِينَا؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ، فَكَتَبَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَعْطَانَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حُرِّيَّةَ الِاخْتِيَارِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يَقَعُ مِنَّا بِمَسْئُولِيَّةٍ كَامِلَةٍ قَدْ نَاطَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَعْنَاقِنَا؛ حَتَّى لَا يَظْلِمَنَا رَبُّنَا -جَلَّ وَعَلَا-؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَنَا الْأَمْرَ فِي مَسْأَلَةِ الِاخْتِيَارِ فِيمَا طَلَبَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَّا، وَفِي الْأَعْمَالِ الَّتِي تَقَعُ مِنَّا.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَفْعَلَهَا، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَهَا، فَكَتَبَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَيَا تُرَى؛ هَلْ كَتَبَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ، أَمْ كَتَبَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ؟ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَسِتِّيرُ الْعُيُوبِ.

وَأَمَّا نَحْنُ؛ فَإِنَّ الْأَمْنَ وَالِاغْتِرَارَ يَأْخُذُ بِأَنْفُسِنَا، وَبِمَعَاقِدِ أَجْفَانِنَا، وَبِمَقَالِيدِ قُلُوبِنَا، وَنَغْتَرُّ بِظَاهِرِ طَاعَةٍ نَأْتِيهَا، مَعَ أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْطَقَ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ،فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ)).

وَهَذَا يُفَسِّرُ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ: ((أَنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يرْسِلُ اللَّهُ إليه الْمَلَكَ، ويُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ أَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ)).

((بِكَتْبِ أَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَرِزْقِهِ وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ)).

فَهَذَا كِتَابٌ بِالشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْمَرْءُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ جَنِينًا عِنْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

وَأَيْضًا عِنْدَ يَوْمِ الْمِيثَاقِ، عِنْدَمَا قَبَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَبْضَةً مِنَ الْخَلْقِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ جَنَّتِي وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ، وَلَا أُبَالِي.

فَمَنْ لَمْ يَجْزَعْ مِنْ يَوْمِ الْقَبْضَةِ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عِلْمَ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي فَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِنْدَئِذٍ، أَمِنْ أَهْلِ قَبْضَةِ الشَّقَاوَةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ قَبْضَةِ السَّعَادَةِ؟ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَيْضًا أَنَّ الْمَرْءَ يُؤْمَرُ مَلَكُهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ عِنْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ أَنْ يَكْتُبَ: شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؛ فَيَا تُرَى كُتِبَ الْمَرْءُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؟!

كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَقِيَ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ يَقُولُ لَهُ: اجْلِسْ نَبْكِي عَلَى عِلْمِ اللهِ فِينَا.

((اجْلِسْ نَبْكِي عَلَى عِلْمِ اللهِ فِينَا)).

لِأَنَّا لَا نَدْرِي عِلْمَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ السَّابِقَ فِينَا؛ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

أَمِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؟

ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِيمَا يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُعمل بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ.

وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُعمل بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ)).

فَلْنَبْكِ عَلَى عِلْمِ اللهِ فِينَا، وَلْنَسْأَلْ رَبَّنَا -جَلَّ وَعَلَا- أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

((صُوَرٌ مِنْ سُوءِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ))

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَمْثِلَةً لَهُ كَثِيرَةً؛ فَهَذَا هُوَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- يَذْكُرُ فِي ((الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ)) نَقْلًا عَنْ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ (53هـ): أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ (عَبْدُهُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ)، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَثِيرَ الْغَزْوِ لِلرُّومِ، يَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُجَاهِدًا مُعَرِّضًا نَفْسَهُ لِأَنْ يَكُونَ قَتِيلًا -نَحْسَبُهُ حِينَئِذٍ شَهِيدًا إِنْ فَعَلَ-، وَلَكِنْ كَانَ كَثِيرَ الْغَزْوِ لِلرُّومِ، ثُمَّ إِنَّهُ فِي مَرَّةٍ مِنْ مَرَّاتِ غَزْوِهِ، وَفِي حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْحِصَارِ لِحِصْنٍ مِنْ حُصُونِ الرُّومِ رَأَى امْرَأَةً مِنَ الرُّومِ، فَهَوِيَهَا فَرَاسَلَهَا: كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْكِ؟!!

فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَّا بِأَنْ تَتْرُكَ الْإِسْلَامَ وَتَدْخُلَ فِي الْكُفْرِ.

فَفَعَلَ؛ فَخَرَجَ مُتَسَرْبِلًا بِأَذْيَالِ الظَّلَامِ حَتَّى دَخَلَ الْحِصْنَ وَتَرَكَ الدِّينَ وَدَخَلَ فِي الْبَاطِلِ فِي الْكُفْرِ فَكَانَ هُنَالِكَ.

يَقُولُ رَاوِي الْقِصَّةِ: فَكُنَّا نَمُرُّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ وَنَقُولُ: كَيْفَ شَأْنُكَ؟

فَيَقُولُ: وَاللهِ إِنِّي الْآنَ مَا أَذْكُرُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا تِلْكَ الْآيَةَ: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: 2].

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ، فَإِنَّ عَنَاصِرَ الثَّبَاتِ قَدْ عَزَّتْ بَلْ نَدُرَتْ، وَإِنَّ وَسَائِلَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ قَدْ كَثُرَتْ بَلْ قَدْ غَزَتِ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ وَالْحَيَاةَ فِي جَمِيعِ مَنَاحِيهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ إِلَّا بِتَثْبِيتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ مُخْبِرًا عَنِ الْفِتَنِ -إِنَّهَا عَظِيمَةٌ حَقًّا-: ((يَبِيتُ الرَّجُلُ مُسْلِمًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَيُصْبِحُ مُسْلِمًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)).

مَتَى مَا لُوِّحَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا -وَالنَّبِيُّ ﷺ أَتَى بِـ(عَرَضٍ) هَاهُنَا مُنْكَرًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّحْقِيرِ ((وَيَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)) بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ، الْمُهِمُّ أَنْ يُبْذَلَ لَهُ مَالٌ وَلَوْ كَانَ حَقِيرًا ضَئِيلًا، وَلَوْ كَانَ كَالْعَظْمَةِ الَّتِي تُرْمَى لِلْكَلْبِ فِي مَزْجَرِهِ، فَهِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَحَسْبُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَرْبِطُ عَلَى الْقُلُوبِ.

وَهَذَا (ابْنُ السَّقَّاءِ) كَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْعِلْمِ، وَيَغْشَى مُنْتَدَيَاتِ الْعُلَمَاءِ، وَيَسْمَعُ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ، ثُمَّ دَخَلَ مَرَّةً حَلْقَةَ الْإِمَامِ الْهَمْدَانِيِّ فَأَسَاءَ الْأَدَبَ، وَسَأَلَ سُؤَالًا عَجِيبًا، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَشْتَمُّ فِي سُؤَالِكَ رَائِحَةَ الْكُفْرِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَمُوتَ عَلَى غَيْرِ الْمِلَّةِ ؛ فَكَانَ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الثَّبَاتِ فَخُذْ إِلَيْكَ مِثَالًا وَاحِدًا مِنْهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَرَحْمَتُهُ عَلَى مَنْ أَتَى بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ.

هَذَا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَهُوَ هُنَالِكَ يُحْمَلُ لِيُصْلَبَ، لِتُضْرَبَ عُنُقُهُ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ نِسْبَتُهُ لِلدِّينِ الْكَرِيمِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ﷺ لَا يُبَالِي، وَإِنَّمَا ثَبَاتُهُ عَلَى دِينِ رَبِّهِ هُوَ الْمُهِمُّ.

نَسْأَلُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْخِتَامَ أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى الصَالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ, صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

((جُمْلَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ))

فَإِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا خَتَمَ اللهُ لَهُ بِالْحُسْنَى فَقَدْ نَجَا وَفَازَ، وَلِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ عَلَامَاتٌ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَدَلَّ عَلَيْهَا.

فَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، فَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

فَالنُّطْقُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ، وَهِيَ كَلِمَةُ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، النُّطْقُ بِهَا قَبْلَ الْوَفَاةِ، وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ آخِرَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَتَّبَ عَلَى النُّطْقِ بِهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ دُخُولَ الْجَنَّةِ.

وَهَذَا يَدْفَعُنَا إِلَى الْإِكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي تَلْقِينِ مَوْتَانَا إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتُ الْمَوْتِ، وَكَانُوا فِي سِيَاقِ الِاحْتِضَارِ أَنْ نُلَقِّنَهُمْ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، فَيَأْتِي الْإِنْسَانُ إِلَى الْمُحْتَضَرِ الَّذِي يَمُوتُ وَيَأْمُرُهُ، يَقُولُ لَهُ: ((قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)).

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَكَانَ كَافِرًا لَمْ يُسْلِمْ، وَلَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ -إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ- مَعَ أَنَّهُ كَافِرًا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ أُمُّهُ كَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَظَلَّ عِنْدَهُ سَنَتَيْنِ ثُمَّ مَاتَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَبَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَمِّهِ، وَكَانَ عَمُّهُ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ؛ ذَهَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِقَوْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، لِيَشْفَعَ لَهُ بِهَا عِنْدَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَمِّهِ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلَيْنِ مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ مِنْ قُرَيْشٍ -مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ- فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((يَا عَمُّ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ)).

فَقَالَا لَهُ هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنْ رُؤُوسِ الْكُفْرِ: أَتَدَعُ دِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَتَتْبَعُ مُحَمَّدًا؟

فَلَمْ يَقُلْهَا.

وَكَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمْرَ مَرَّةً وَمَرَّةً، وَخَرَجَتْ رُوحُ أَبِي طَالِبٍ -عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ- وَلَمْ يَقُلْ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)).

نَأْخُذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي مَرَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ إِذَا حَضَرَ عِنْدَ مَيِّتٍ يَحْتَضِرُ -يَمُوتُ- أَنْ يَأْمُرَهُ بِقَوْلِ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، ((فَإِنَّ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

وَشَيْءٌ آخِرُ هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي مَرْضَانَا وَفِي الْمُحْتَضَرِينَ مِنْ أَهْلِينَا، وَأَلَّا نُمَكِّنَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ أَنْ يَحْضُرَ احْتِضَارَهُمْ وَلَا أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، فَقُرَنَاءُ السُّوءِ مَنَعُوا أَبَا طَالِبٍ مِنْ قَوْلِ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، وَزَيَّنُوا لَهُ الْكُفْرَ وَالْبَاطِلَ، وَقَالُوا لَهُ: أَتَدَعُ دِينَكَ وَدِينَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَتَتْبَعُ مُحَمَّدًا ﷺ؟ فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ أَنَّهُ عَلَى دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَمَاتَ كَافِرًا.

*وَمِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ أَنْ يَمُوتَ الْمُسْلِمُ بِرَشْحِ الْجَبِينِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ ((أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ -بِرَشْحِ الْجَبِينِ-))، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي حَالِ السِّيَاقِ -فِي حَالِ الِاحْتِضَارِ وَهُوَ يَعْرَقُ -وَيَعْرَقُ جَبِينُهُ عَرَقًا غَزِيرًا- فَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ هُوَ الْمُؤْمِنُ.

*وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ: أَنْ يُقَيِّضَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِلْعَبْدِ عَمَلًا صَالِحًا وَيَقْبِضَهُ عَلَيْهِ.

فِي آخِرِ عُمُرِهِ يُقَيِّضُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُ عَمَلًا صَالِحًا؛ يُؤَذِّنُ فِي الْمَسْجِدِ، يَخْدِمُ فِيهِ مُتَطَوِّعًا، يَسْعَى فِي الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ، يَأْمُرُ بِالسُّنَّةِ، يَلْتَزِمُ بِهَا وَيَدْعُو إِلَيْهَا، يَأْتِي بِأَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَيَقْبِضُهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

*مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ: أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْبَضُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَكُلُّ هَذَا وَعَدَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِ الْحُسْنَى.

*عَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْوَاعًا أُخْرَى مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرَ شَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ:

*مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ -أَيْضًا-: أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا، لَا فِي الْمَعْرَكَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا عَنِ الشَّهِيدِ: ((مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟)).

فَقَالُوا: الَّذِي يَمُوتُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

يَمُوتُ فِي سَاحَةِ الْوَغَى، فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ.

قَالَ: ((إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَنْ لَقَلِيلٌ)).

ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِمَّنْ مَاتَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ.

شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ، وَمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ هَذَا شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ هَذَا يُكَفَّنُ فِي ثِيَابِهِ، لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَنَّ اللَّوْنَ لَوْنُ الدَّمِ.

هَذَا شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَّا شُهَدَاءُ الْآخِرَةِ لَا شُهَدَاءُ الدُّنْيَا؛ فَلَا تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ شَهَادَةِ الْقَتْلِ فِي الْمَعَارِكِ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ فَهُوَ شَهِيدٌ))؛ يَعْنِي الَّذِي يُصَابُ فِي كَبِدِهِ فَيَمُوتُ بِهِ، أَوْ فِي كُلْيَتَيْهِ فَيَمُوتُ بِذَلِكَ، الَّذِي يَأْتِيهِ سَرَطَانٌ فِي الْأَمْعَاءِ، أَوْ فِي الْمُسْتَقِيمِ، أَوْ فِي الْمَثَانَةِ، أَوْ فِي الْبُرُوسْتَاتَا أَوْ مَا أَشْبَهَ، يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ مُؤَدِّيًا إِلَى الْمَوْتِ فِي الْبَطْنِ، فَإِنَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَاحْتِسَابًا عِنْدَ اللهِ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الْحَسَنِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

فِي التَّقْسِيمِ الطِّبِّيِّ التَّشْرِيحِيِّ الْحَدِيثِ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْبَطْنِ وَالْحَوْضِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مَعْهُودًا عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، فَمَهْمَا كَانَ مِنْ دَاءٍ فِي الْحَوْضِ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْتُ بَعْضَهُ، فَأَدَّى إِلَى الْوَفَاةِ، فَهُوَ أَيْضًا دَاخِلٌ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ)).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَاحِبُ السِّلِّ شَهِيدٌ))؛ السِّلُّ: هُوَ السُّلُّ، يَعْنِي الْمَسْلُولُ الَّذِي يُصِيبُهُ السُّلُّ غَالِبًا فِي رِئَتَيْهِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَاتَ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا شَهِيدًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

((وَمَنْ مَاتَ مَطْعُونًا -أَيْ بِالطَّاعُونِ- فَهُوَ شَهِيدٌ)).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ))؛ يَعْنِي الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهِ جِدَارٌ، يَسْقُطُ عَلَيْهِ السَّقْفُ، يُهْدَمُ عَلَيْهِ الْبَيْتُ، فَيَمُوتُ؛ هُوَ شَهِيدٌ، قَالَ ﷺ: ((صَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ)).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ))؛ يَعْنِي مَنْ مَاتَ غَرَقًا فَهُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا، وَمَنْ مَاتَ مَحْرُوقًا فَهُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا.

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَذَكَرَ لَوْنًا مِنَ الشَّهَادَةِ، كَانَ الصَّحَابَةُ أَنْفُسُهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنَ الشَّهَادَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا سُئِلُوا عَنِ الشَّهِيدِ، قَالُوا: الَّذِي يَمُوتُ فِي الْمَعْرِكَةِ، فَقَالَ: ((إِذَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي قَلِيلٌ)).

*وَالَّذِي يُدَافِعُ عَنْ مَالِهِ، عَنْ عِرْضِهِ، يُدَافِعُ عَنْ دَمِهِ، هَذَا أَيْضًا إِذَا مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ فَهَذَا قَاتِلٌ، يُحَاسِبُهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حِسَابَ الْقَاتِلِينَ الْمُعْتَدِينَ.

*ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ -أَيْضًا- مِنْ أَنْوَاعِ الشُّهَدَاءِ الْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا، ((فَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّهَا وَلِيدُهَا بِسَرَرِهِ حَتَّى يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ))، السَّرَرُ هُوَ الْحَبْلُ السُّرِّيُّ.

فَتَصَوَّرْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي أَثْنَاءِ الْوَضْعِ أَوْ تَمُوتُ فِي أَثْنَاءِ النِّفَاسِ -يَعْنِي قَبْلَ أَنْ تَطْهُرَ مِنْ نِفَاسِهَا-، فَهَذِهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ وَلَدَهَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارًّا لَهَا بِسَرَرِهِ -يَعْنِي بِالْحَبْلِ السُّرِّيِّ- حَتَّى يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ)).

فَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ لَنَا هَذِهِ الْأُمُورَ، وَكُلُّهَا مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ.

*مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِهَا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ)).

وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ يَتَعَرَّضُ لَهَا الْإِنْسَانُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- السَّاعَةَ، فِتْنَةُ الْقَبْرِ وَاقِعَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ)).

وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ عَظِيمَةٌ جِدًّا، وَأَنَّ مَنْ نَجَا مِنْهَا؛ نَجَا مِمَّا وَرَاءَهَا، فَإِذَا كَانَ الْقَبْرُ يَسِيرًا وَكَانَ أَمْرُهُ غَيْرَ عَسِيرٍ، فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، وَأَمَّا إِذَا مَا رَسَبَ الْإِنْسَانُ فِي الِاخْتِبَارِ عِنْدَ الْفِتْنَةِ فِي الْقَبْرِ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ أَعْسَرَ وَيَكُونُ أَشَدَّ.

يَقِي اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْمُسْلِمُ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ -مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ- إِذَا مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَكُونَ مُوصِيًا بِوَصِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ مُنْضَبِطَةٍ قَبْلَ مَوْتِهِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُفَرِّطُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((مَا حَقُّ امْرِئٍ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ رَأْسِهِ)).

كُلُّ هَؤُلَاءِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ لَهُمْ مَقَامًا عِنْدَ اللهِ بِشَرْطِ أَنْ يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَقَادِيرِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، مُتَّبِعِينَ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

إِذَا آتَى اللهُ عَبْدًا خَيْرًا، فَأَمَاتَهُ بِعَلَامَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ أَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَدْ أَحْسَنَ خَاتِمَتَهُ.

((هَلْ يُحْكَمُ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ بِالشَّهَادَةِ؟))

هَلْ يُقَالُ فُلَانٌ شَهِيدٌ؟

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: ((تَقُولُونَ فِي مَغَازِيكُمْ -يَعْنِي فِي غَزَوَاتِكُمْ- تَقُولُونَ: فُلَانٌ شَهِيدٌ، وَمَاتَ فُلَانٌ شَهِيدًا، وَلَعَلَّهُ قَدْ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاحِلَتَهُ -يَعْنِي حَمَّلَهَا وِقْرًا، وَالْوِقْرُ هُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ- أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ)). وَهَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي ((الْمُسْنَ

حُسن الخاتمة عِبرة وعِظة للشيخ ماهر خضير

عناصر الخطبة
العنصر الأول / الموت عبرة وموعظة
العنصر الثاني / حسن الخاتمة والصالحين
العنصر الثالث / من أسباب حسن الخاتمة
الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحان الذي في السماء عرشه ، سبحان الذي في الأرض حكمه ، سبحان الذي في القبر قضائه ، سبحان الذي قي البحر سبيله ، سبحان الذي في الجنة رحمته ، سبحان الذي في القيامة عدله واشهد إن لا اله إلا الله, وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه والله ما في الخلــق مثل محمدا في الفضل والجود والأخلاق ... فهو النبي الهاشمـي المصطفى من خيرة الأنساب من عدنان .. صلوات الله عليه وسلامه ... وبعد فأوصى نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل والحرص على رضائه والاستعداد للقائه ..
أما بعد عباد الله / تمر الجنائز بالناس يجهزونها ويصلون عليها ويسيرون خلفها ويشيعونها محمولة إلى مثواها الأخير. وتراهم يلقون عليها نظرات عابرة، وربما طاف بهم طائف من الحزن يسير. أو أظلهم ظلال من الكآبة خفيف. ثم سرعان ما يغلب على الناس نشوة الحياة وغفلة المعاش.
ومن العجيب المحزن أنه أصبح كثير منا يعتقد أن الكلام عن الموت هو نوع من التشاؤم والسوداوية بل يراه البعض نوع من أنواع تخويف وتقنيط الناس من الحياة وهذا خطأ كبير
فالتفكر بالموت لا علاقة له بالتشاؤم أبداً ولا بالسوداوية, هذا كلام الجهلة، هذا الحدث الذي لا بد منه شئنا أم أبينا, وليس له قاعدة, فقد يخطف الإنسان فجأةً, وبأي عمر, ففي الثلاثينات موت، وفي العشرينات، بالأربعينات، بالخمسينات، الموت ليس له قاعدة إطلاقاً، قاعدته الوحيدة أنه ليس له قاعدة، الشيء الذي تستعد له وتفكر فيه دائماً لا تفاجأ به، بل أنت قد أخذت احتياطات بالغة.
ورحم الله من قال
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينها تـرد
أين الملوك التي كانت لعزتهـا من كل أوبٍ إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذبٍ لابد من ورده يوماً كما وردوا
عباد الله / يقول -جل وعلا(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت
وتلك البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وذلك لن يكون إلا لمن وفقه الله-تعالى-للعمل الصالح
وهذا ما يسمى بحسن الخاتمة رزقنا الله وإياكم إياها
وبشرى حسن الخاتمة عباد الله تكون لمن تكون لمن داوم على الإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم)إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله) قالوا: كيف يستعمله؟ قال : (يوفقه لعمل صالح قبل موته)

أيهَا المؤمنونَ:{ العبدُ مرهونٌ بعملِهِ، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، وقيمةُ العملِ فِي حُسْنِ خاتِمَتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ صلى الله عليه وسلم:« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، كَالْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلاَهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلاَهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ»( )

ومِنْ أعظمِ مَا ينبغِي أَنْ يحرِصَ عليهِ الإنسانُ ختامُ حياتِهِ وحُسنُ لقاءِ ربِّهِ، وقَدْ وجَّهَ القرآنُ الكريمُ إلَى حُسنِ استعدادِنَا للقاءِ اللهِ تعالَى بالعملِ الصالِحِ، قالَ تعالَى:(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

ولأهميةِ هذهِ اللحظةِ الفارقةِ فِي حياةِ الإنسانِ كانَ الأنبياءُ -عليهِمُ السلامُ- يُوصونَ أقوامَهُمْ بالحرصِ علَى نَيْلِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، قالَ سبحانَهُ:(وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)

وقالَ تعالَى حكايةً عَنْ نبيِّهِ يوسفَ عليهِ السلامُ:(تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)

وحُسْنُ الْخَاتِمَةِ أملُ الصالحينَ والأتقياءِ الذينَ قَصَّ علينَا القرآنُ الكريمُ أخبارَهُمْ، قالَ عزَّ وجلَّ: رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ)

وكانَ مِنْ دُعاءِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ صلى الله عليه وسلم :« يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ »( ).

وكانَ قَالَ صلى الله عليه وسلم يتعوذُ باللهِ تعالَى مِنْ شرِّ فتنةِ المحيَا والممات، وفتنةُ المماتِ هيَ الساعةُ التِي يكونُ فيهَا العبدُ فِي إدبارٍ مِنَ الدنيَا وإقبالٍ علَى الآخرةِ، ويُحاولُ الشيطانُ أَنْ يفتنَهُ فِي دينِهِ ويحولَ بينَهُ وبينَ الإيمانِ باللهِ، فعندَهَا يُثَبِّتُ اللهُ عزَّ وجلَّ المؤمنَ بالقولِ الثابتِ، فيقولَ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، قَالَ قَالَ صلى الله عليه وسلم :« مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ »( )..}

عباد الله / لقد حرص الأنبياء على حسن الخاتمة مكان أيضا من جاء من بعدهم من الصحابة والصالحين فهذا

.... عامر بن عبد الله بن الزبير على فراش الموت يلفظ انفاسة الاخيرة و الاهل من حولة يبكون فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادى لصلاة المغرب و نفسة قد تحشرج فى حلقة و اشتد نزعة ولكن بمجرد ان سمع النداء قال لمن حولة خذوا بيدى قالو الى اين قال الى المسجد ! تعجب الحضور و قالوا وانت على هذة الحال ؟! قال عامر بن عبد الله سبحان الله اسمع منادى الصلاة و لا اجيبة خذوا بيدى فحملوة فصلى ركعة مع الإمام ثم مات فى سجودة .. نعم الختام عاش على صلاتة فمات عليها .

..... وعندما قارب الموت بالعابد الزاهد عبد الله بن ادريش و اشتد علية الكرب واخذتة سكرات الموت فاخذ يشهق حتى بكت ابنتة فقال لها يا بنيتى لا تبكى فقد ختمت القرآن فى هذا البيت اربعة الآف ختمة كلها لاجل هذا المصرع .

..... وفي وقت احتضار عبد الرحمن بن الاسود كان يبكى فقالو له لما تبكى و انت انت و المقصود انه عابد خاشع و تؤمن بالله و لك من الزهد و الخضوع مبلغا كبيرا فقال ابكى والله اسفا على الصلاة و الصوم ثم لم يزل يتلو القرآن حتى مات .

ولما نزل الموت بيزيد الرقاشى اخذ يبكى و يقول من يصلى لك يا يزيد اذا مت و من يصوم لك يا يزيد ان نمت و من يستغفر لك عن ذنوبك ثم تشهد و مات .

..... وفى زماننا المعاصر هذا رجل قد عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغى إلاّ وجه الله ، وقبل الموت مرض مرضاً شديداً فأقعده فى الفراش ، وأفقده النطق فعجز عن الذهاب إلى المسجد ، فلما اشتد عليه المرض بكى ورأى المحيطون به على وجهه أمارات الضيق , وكأنه يخاطب نفسه قائلاً يارب أؤذن لك أربعين سنة وأنت تعلم أني ما ابتغيت الأجر إلا منك، وأحرم من الأذان فى آخر لحظات حياتي. ثم تتغير ملامح هذا الوجه إلى البشر والسرور ويقسم أبناؤه أنه لما حان وقت الآذان وقف على فراشه واتجه للقبلة ,

ورفع الآذان فى غرفته وما إن وصل إلى آخر كلمات الآذان لا إله إلا الله، حتى خر ساقطاً على الفراش فأسرع إليه بنوه , فوجدوا روحه قد فاضت إلى الله، مولاها ..

رزقنا الله وإياكم حسن الختام وأقولُ قولِي هذَا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولكُمْ، فاستغفِرُوهُ إنَّهُ هوَ الغفورُ الرحيمُ.

..... الْخُطْبَةُ الثَّانيةُ

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أنَّ سيِّدَنَا محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ صلوات الله عليه وعلَى أصحابِهِ أجمعينَ، والتَّابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وبعد

أيه المسلمون عباد إن حُسنِ الخاتمةِ له أسبابٌ

منْهَا أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه، وأن تكون نيته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك، فقد جرت سنة الكريم سبحانه أن يوفق طالب الحق إليه، وان يثبته عليهن وأن يختم له به فمَنْ خالفَ سرُّهُ علانيَتَهُ، وباطنُهُ ظاهرَهُ فقَدْ تسوءُ خاتِمَتُهُ، كمَنْ يُحافظُ علَى الطاعاتِ أمامَ الناسِ، فإذَا خلاَ بنفسِهِ تَجرَّأَ علَى محارمِ اللهِ فانْتَهَكَهَا، وَنَسِيَ أَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليهِ، عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ:« لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ. قَالَ:« أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»( ).

ومن أسباب حسن الخاتمة أن يلح المرء في دعاء الله تعالى أن يتوفاه على الإيمان والتقوى.

ومن أسباب حسن الخاتمة التوبة: قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) والفلاح هنا يشمل في الدنيا وعند الموت وفى الآخرة

ومن أسباب حسن الخاتمة أيها المسلمون حُسنَ الظنِّ باللهِ تعالَى مِنْ أهمِّ الأسبابِ التِي يُوفَّقُ بِهَا العبدُ لِحُسنِ الخاتمةِ، وهوَ أَنْ يرجُوَ الإنسانُ سِعةَ رحمةِ اللهِ تعالَى، وكرمَهُ فِي مغفرةِ ذنوبِهِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم :« لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »( ).

عباد الله هنيئاً لِمَنْ عمَّرَ حياتَهُ بطاعةِ مولاهُ، فأدَّى صلاتَهُ وصامَ رمضانَ وأخرجَ زكاتَهُ وحجَّ بيتَ اللهِ تعالَى وبرَّ والدَيْهِ، ووصَلَ رحِمَهُ وأحْسَنَ إِلَى جيرانِهِ، وحَسَّنَ خُلُقَهُ معَ الناسِ، وسعَى فِي خدمةِ وطنِهِ ومجتمعِهِ ونَشْرِ الخيرِ ، وأكثَرَ مِنْ فِعْلِ الخيراتِ حتَّى يُخْتَمَ لَهُ بِخاتمةِ خيرٍ. ..... الدعاء ..... وأقم الصلاة

الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق للشيخ السيد طه

الحمد لله رب العالمين ..جعل الجنة للمتقين وجعل النار للعصاة والمذنبين فقال تعالي } وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133){آل عمران.

نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير...جعل الدار الآخرة للمتقين فقال تعالي }تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83){ القصص

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان بين أن الأعمال بالخواتيم فقال صلي الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالخواتيم) رواه البخاري .

فاللهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعـــــــــــد :ـ فيا أيها المؤمنون

فإن آخر ساعة في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته كلها، فمن كان مقيماً على طاعة الله عز وجل بدا ذلك عليه في آخر حياته ذكراً وتسبيحاً وتهليلاً وعبادة وشهادة، وبالجملة فهي ميراث السوابق.

فالموت وختام الحياة الدنيا حتم لازم: قال الله تعالى }كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)} (آل عمران)

وقال تعالي }إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)} الزمر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم }أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ, وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ, وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ{ (رواه الطبراني والحاكم، وقال الألباني: صحيح لغيره

ولقد أوصى الحق تبارك وتعالى عباده أن يختموا حياتهم بخاتمةٍ حسنة: قال الله تعالى }يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(102)} (آل عمران).

وقال تعالي: }وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)){ (الحجر

لذلك كان الصالحون مشغولون بحسن الخاتمة، وإن أعطوا ما أعطوا من حسنات الدنيا، قال الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام }رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(101)} (يوسف

لذلك كان حديثنا عن الخاتمة بين الإجتهاد والتوفيق وذلك من خلال هذه العناصر الرئيسية التالية ...

1- خطر الخواتيم .

2- أسباب حسن الخاتمة .

3- علامات حسن الخاتمة.

4- صور من حسن الخاتمة.

5- أسباب سوء الخاتمة، مع ذكر بعض الصور.

6 - خوف السلف من الخاتمة .

العنصر الأول : خطر الخواتيم: -

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ فَقَالَ: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا] فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا] رواه البخاري ومسلم .

قوله: [إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا]؛ أي لا تصلح الأعمال الصالحة، حتى يختم للعبد بعمل صالح، فيدخل جنة الله .

كم سمعنا عمن آمن، ثم كفر، وكم رأينا من استقام، ثم انحرف؛ لذلك كان كثيرًا ما يردد عليه الصلاة والسلام من دعائه: [يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ]رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد.

ولقد ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعض من آمن، فخرجوا من النور إلى الظلمات؛ منهم عبيد الله بن جحش، ودخل في النصرانية، وارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام خلقٌ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

العنصر الثاني: أسباب حسن الخاتمة :-

اعلم أن المواظبة على طاعة الله، والعمل الصالح مِن أعظم أسباب حُسن الخاتمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه أحمد، وصححه الألباني).

وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ) (رواه أحمد، وصححه الألباني).

وقالوا: "مَن عاش على شيءٍ مات عليه".

العنصر الثالث: علامات حسن الخاتمة:-

فمِن علامات الفوز الحقيقي أن يموت العبد على عمل صالح: قال النبي صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا) (رواه البخاري). فمن علامات حسن الخاتمة ....

1- نطق كلمة التوحيد عند الاحتضار:

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني)

- قصة مؤثرة حول ذلك: (موت أبي زرعة الرازي): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ الْبَادِيِّ، قَالَ: حَضَرْتُ مَعَ أَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الرَّازِيِّ عِنْدَ أَبِي زُرْعَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الرَّازِيِّ، وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقُلْتُ لِأَبِي حَاتِمٍ: تَعَالَ حَتَّى نُلَقِّنَهُ الشَّهَادَةَ، فَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ أَبِي زُرْعَةَ أَنْ أُلَقِّنَهُ الشَّهَادَةَ، وَلَكِنْ تَعَالَ حَتَّى نَتَذَاكَرَ الْحَدِيثَ، فَلَعَلَّهُ إِذَا سَمِعَهُ يَقُولُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: فَبَدَأْتُ، فَقُلْتُ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، فَأُرْتِجَ عَلَيَّ الْحَدِيثُ حَتَّى كَأَنِّي مَا سَمِعْتُهُ وَلَا قَرَأْتُهُ. فَبَدَأَ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَأُرْتِجَ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَا قَرَأَهُ وَلَا سَمِعَهُ. فَبَدَأَ أَبُو زُرْعَةَ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَرَجَتْ رُوحُهُ مَعَ الْهَاءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُولَ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (أخرجه ابن البناء في فضل التهليل وثوابه الجزيل(

2- الموت بعرق الجبين:

قال النبي صلى الله عليه وسلم (الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ) (رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني)

لما احتضر أبو بكر بن حبيب، وكان يدرس، ويعظ، وكان نعم المؤدب، قال له أصحابه لما احتضر أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه انظر هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم،فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن يريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد .

ثم بسط يده عند الموت، وقال:

هَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا بِالْفَضْلِ لا بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ

قال بعض أهل العلم: قيل: هو لما يعالِج مِن شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية مِن ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص منها. وقيل: هو مِن الحياء، فإنه إذا جاءته البشرى مِن الملائكة مع ما كان قد أقترف مِن الذنوب، حصل له بذلك خجل وحياء مِن الله تعالى، فعرق لذلك جبينه. وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جعلتْ لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه (التذكرة للقرطبي)

3- الاستشهاد في سبيل الله:

قال الله تعالى }وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170){ آل عمران.

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ) (متفق عليه)

4ـ الموت بالأمراض والحوادث القاتلة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم (وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فهوَ شهيدٌ) (رواه مسلم).

وقال صلى الله عليه وسلم (مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟) قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ) (رواه أبو داود، وصححه الألباني)

5ـ الموت دفاعًا عن دينه أو نفسه أو عرضه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه :جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: (فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: (قَاتِلْهُ) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: (فَأَنْتَ شَهِيدٌ)، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: (هُوَ فِي النَّارِ) (رواه مسلم).

ومن العلامات التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يُبشّر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاقه كرامته تفلاً منه تعالى. كما قال جل وعلا: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)

وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم وفي قبورهم وعند بعثتهم يوم القيامة.

وفي الصحيحين قال صلي الله عليه وسلم: (المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه)

ومن علامات حسن الخاتمة الموت على عمل صالح لما رواه أحمد في مسنده قال صلي الله عليه وسلم:(من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله وختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ختم له بها، دخل الجنة).

ولكي يدرك العبد المؤمن حسن الخاتمة فينبغي له أن يلزم طاعة الله وتقواه والحذر من ارتكاب المحرمات فقد يموت عليها، والمبادرة إلى التوبة من الذنوب.

العنصر الرابع : صور من حسن الخاتمة :ـ

هلموا أيها المؤمنون.. ننظر كيف كانت ساعة الاحتضار على سلفنا الصالح الذين عاشوا على طاعة الله وماتوا على ذكر الله، يأملون في فضل الله ويرجون رحمة الله، مع ما كانوا عليه من الخير والصلاح.
لما رأت فاطمة رضي الله عنها ما برسول الله صلي الله عليه وسلم من الكرب الشديد الذي يتغشاه عند الموت قالت: واكرب أبتاه، فقال لها صلي الله عليه وسلم: (ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم)

وهذا عبد الله بن جحش عندما خرج لمعركة أحد دعا الله عز وجل قائلاً: (يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده فأقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني ويجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت يا عبد

الله من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت.
وبعد المعركة رآه بعض الصحابة مجدوع الأنف والأذن كما دعا.
وطعن جبار بن سَلمي الكلبي عامر بن فهيرة رضي الله عنه يوم بئر معونة، فنفذت الطعنة فيه، فصاح عامر قائلا: فزت ورب الكعبة.

وكان بلال بن رباح رضي الله عنه يردد حين حضرته الوفاة وشعر بسكرات الموت قائلا:(غداً نلقى الأحبة: محمداً وصحبه) ، فتبكي امرأته قائلة: وابلالاه واحزناه فيقول رضي الله عنه: وافرحاه.
وعندما خطب رسول الله صلي الله عليه وسلم في أصحابه حاثاً لهم على الاستشهاد في سبيل الله في معركة بدر قال صلي الله عليه وسلم: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض).
فسمع عمير بن الحُمام هذا الفضل العظيم وقال: والله يا رسول الله إني أرجو أن أكون من أهلها. فقال صلي الله عليه وسلم (فإنك من أهلها)

فأخرج عمير ثمرات من جعبته ليأكلها ويتقوى بها، فما كادت تصل إلى فمه حتى رماها وقال: إنها لحياة طويلة إن أنا حييت حتى آكل تمراتي، فقاتل المشركين حتى قتل.

وعندما حضرت الوفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: مرحباً بالموت زائر مغيب، وحبيب جاء على فاقة، اللهم إني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حِلَقَ الذكر.

وقال المزني دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء عملي ملاقيا. وعلى الله تعالى وارداً، فلا أدري: روحي تصير إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها. ثم بكى.

ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال: لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون.

وكثير من السلف الصالح مات وهو على طاعة داوم عليها فترة حياته.

فهذا أبو الحسن النساج لما حضره الموت غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ودعا بماء فتوضأ للصلاة ثم صلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات.
وهذا ابن أبي مريم الغساني، لم يفطر مع أنه كان في النزع الأخير وظل صائماً فقال له من حوله: لو جرعت جرعة ماء، فقال بيده: لا، فلما دخل المغرب قال: أذّن، قالوا: نعم، فقطروا في فمه قطرة ماء، ثم مات.

ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قال لمن حوله: أخرجوا عني فلا يبق أحد. فخرجوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعافية للمتقين)، ثم قُبض رحمه الله.

ولما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكى فقيل له: ما يبكيك.

فقال: أسفاً على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

وهذا أبو حكيم الخبري كان جالساً ينسخ الكتب كعادته، فوقع القلم من يده وقال: إن كان هذا موتاً، فوالله إنه موت طيب، فمات.

وعن الفضل بن دكين قال: مات مجاهد بن جبر وهو ساجد.

فحسن الخاتمة هي أن يوفّق العبد قبل موته للتوبة عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات وأعمال الخير.

ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ومما يدل على هذا ما روى أحمد في مسنده، قال صلي الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله) ، قالوا: كيف يستعمله، قال صلي الله عليه وسلم: (يوفقه لعمل صالح قبل موته)

العنصر الخامس : أسباب سوء الخاتمة ، مع ذكر بعض الصور:-

سوء الخاتمة أن يموت العبد على حالة سيئة، من كفر، أو جحود، أو شك، أو مضيع لما أوجبه الله عليه ،وهذه الداهية العظمى، والرزية الكبرى، فإن ذلك يوجب لصاحبه الخلود في العذاب، وأدنى من ذلك أن يموت، وهو متلبس بمعصية من معاصي الله، أو مُصِرٌّ عليها بقلبه، والمرء يبعث على ما مات عليه.

فسوء الخاتمة له أسباب بسببها يختم للإنسان بشر عمله والعياذ بالله تعالي من هذه الأسباب ....

1- الإصرار علي المعصية :-

فطول الإلْف بالمعاصي يقتضي تذكُّرها عند الموت، وعودها في القلب وتمثُّلها فيه، وميل النفس إليها، وإن قُبض روحه في تلك الحالة يختم له بالسوء"

فإن الإنسان إذا ألف شيئاً مدة حياته وأحبه وتعلق به، فالغالب أنه يموت عليه.

وهذا حال كل مَن أصرَّ على انتهاك المحرَّمات، والعيش في أَسْر الشهوات، فهذا لا بد أن يتذكَّر معاصيَه ومخازيَه عند الموت، وتحضر في قلبه ساعة الرحيل، فتميل نفسُه إليها في تلك اللحظة الحرجة التي تُقبَض فيها روحه، فيختم له بالسوء، عياذًا بالله.

قال ابن كثير رحمه الله: (إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت)

يقول ابن القيم رحمه الله: وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه.

إنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة ، أو إقدام على العظائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل عليه الموت قبل التوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطوية ويصطدم قبل الإنابة والعياذ بالله.

فالإنسان عندما يألف المعصية ولم يَتُب منها، فإن الشيطان يستولي على تفكيرِه، حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، فإذا أراد أقرباؤه أن يُلقِّنوه الشهادة، ليكون آخر كلامه "لا إله إلا الله"، طغت هذه المعصية على تفكيره، فتكلَّم بما يُفِيد اشتغاله بها، وخانه قلبه ولسانه عند الاحتضار، وخُتِم له بالسوء، عياذًا بالله، وقد قيل لأحدِهم عند الاحتضار قل: "لا إله إلا الله"، فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تاتنا... تنتنا، ثم قضى.

وقيل لأحدهم عند الاحتضار قل: "لا إله إلا الله"، فقال: "آه... آه لا أستطيع أن أقولها".

وقيل لأحدهم عند الاحتضار قل: "لا إله إلا الله"، فقال: "ما ينفعني ما تقول، ولم أدَعْ معصية إلا ارتكبتها؟ ثم مات ولم يَقُلها".

وقيل لآخر: قل"لا إله إلا الله"، فقال: "ما يغني عني، وما أعرف أني صلَّيتُ لله صلاة! ومات ولم يَقُلها"؛ (الداء والدواء لابن القيم)

ومن القصص الحديثة .... أن ثلاثةً من الأصدقاء يجمع بينهم الطَّيش والعَبَث والجنون، كانوا يستدرجون الفتيات الساذجات بالكلام المعسول، ثم ينقلبون إلى ذئاب لا ترحم توسُّلاتِهن، يقول الراوي: ذهبنا كالمعتاد للمزرعة، وكان كل شيءٍ جاهزًا، الفريسة لكل واحدٍ منا، والشراب الملعون، شيء واحد نسيناه وهو الطعام، وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء العشاء بسيارته، وكانت الساعة السادسة تقريبًا عندما انطلق، ومرَّت الساعات دون أن يعود، وفي العاشرة شعرتُ بالقلق، فانطلقتُ بسيارتي أبحث عنه، في الطريق شاهدتُ بعض ألسنة النار تندلع على جانب الطريق، وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي، والنار تلتهمُها وهي مقلوبة على أحد جانبيها، أسرعت كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة، وذهلت عندما وجدت نصف جسده قد تفحَّم تمامًا، لكنه كان ما يزال على قيد الحياة، فنقلته إلى الأرض، وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي: النار... النار، فقررتُ أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى، ولكنه قال بصوت باكٍ: لا فائدة لن أصل، فخنقتني الدموع وأنا أرى صديقي يموت أمامي، وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له؟! نظرتُ إليه بدهشة وسألته: مَن هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئرٍ عميق: "الله"، أحسستُ بالرعب يجتاح جسدي، وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوِّية، ولفظ آخر أنفاسه، ومضت الأيام، لكن صورة صديقي الراحل وهو يصرخ والنار تلتهمه، ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟ ووجدتُ نفسي أتساءل: وأنا، ماذا أقول له؟ فاضت عيني واعترتني رعشة غريبة، وفي نفس الوقت سمعت المؤذِّن ينادي لصلاة الفجر، الله أكبر.. الله أكبر، فأحسستُ أنه نداء خاص بي، يدعوني إلى طريق النور والهداية، فاغتسلت وتوضأت وطهَّرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات، وأديتُ الصلاة، ومن يومِها لم تَفُتْني فريضة".

2 ـ مخالفة الباطن للظاهر :-

أن يُخالف ظاهر المرء باطنه، فيظهر للناس بمظهر الصلاح والاستقامة ولزوم العبادة، بينما يُناقض باطنه هذه الوضاءة الإيمانيّة، فتكون هذه الازدواجيّة سبباً في خاتمة السوء، يشهد لذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار) متفق عليه.

وذكرالإمام القرطبي في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) في باب (ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم).

فقال: روى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له: ما شأنك ما تريد؟ فقال: أنت أريد. قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر ليتزوجها وأقام معها في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات. فلا هو بدينه ولا هو بها، فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة. انتهى.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة. رواه مسلم.

3 ـ تغلب أمراض القلوب علي القلب :-

جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً، فأي قلب أُشْربها، نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداء، وأي قلب أنكرها، نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادّاً كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه)، والصفا هو الْحجر الأملس، ومعنى أسود مربادّاً: شديد السواد، والكوز: هو الإبريق، ومعنى مُجَخِّياً: أي مائلاً، والمقصود تشبيه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه، مهما صُبّ فيه لم يدخله شيء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله تعالى) رواه الترمذي.

وأسوأ أمراض القلوب التي تُفسده: الرياء، والكبر والعُجب والغرور، والغشّ والخداع، والمكر والكيد، والنفاق وخبث الطويّة، والطمع والأَثَرة والشحّ، واليأس والقنوط، وسوء الظنّ بالله تعالى والتسخّط من أقداره، واتباع الهوى، فأيٌّ من هذه الأمراض وغيرها تكون سبباً في هلاك صاحبها وخسرانه فضلاً عن سوء خاتمته؛ والقلوب لا تدرك السعادة وحسن العاقبة إلا بسلامتها مصداقاً لقول الباري جلّ وعلا: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) } الشعراء.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة، قال تعالى: { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29) }الفرقان

4 ـ تسويف التوبة وطول الأمل:-

تسويف التوبة وتأجيل الأوبة اغتراراً بطول الأمل، وما هلك من هلك إلا بالتسويف والمماطلة فحالهم كما يقول العلماء: "تسويد القلب نقداً وجلاؤه بالطاعة نسيئةً حتى يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم"، ومثل من يؤخّر التوبة كمثل رجلٍ نبتت في بيته نبتةٌ ضارّة، وهو يؤجّل اقتلاعها المرّة تلو الأخرى، ومع كثرة المماطلة والتأجيل أصبحت تلك النبتة الصغيرة شجرةً قويّة لا يمكنن اجتثاثها بسهولة، وهكذا المسوّف يستمريء المعاصي ويماطل في التوبة منها حتى يُشرب قلبه حبّها ولا يقوى على تركها، ولذلك جاء الأمر الإلهيّ بالاستعداد للموت:{ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) } الزمر

يقول ابن المبارك: "احذر السكرة والحسرة، أن يفجأك الموت وأنت على الغرِّة، فلا يصف واصف قدر ما تلقى، ولا قدر ما ترى".

فالتسويف سببه الأول والأخير طول الأمل ، فطول الأمل هو سبب شقاء كثير من الناس، حيث يخدعهم الشيطان، فيُصوِّر لهم أن أمامهم عمرًا طويلاً، وسنين متعاقبة يَبْنُون فيها آمالاً شامخة، فيجمعون همَّتهم لمواجهةِ هذه السنين، ولبناء هذه الآمال، وينسى الآخرة ولا يتذكَّر الموت، وإذا ذَكَره يومًا تبرَّم منه؛ لأنه - في ظنه - ينغِّص عليه لذَّاته، ويكدِّر عليه صفو عيشه.

ولقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من طول الأمل؛ فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال:(كُنْ في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل)، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخُذْ من صحتِك لمرضك، ومن حياتك لموتك"، زاد أحمد والترمذي: "وعُدَّ نفسك من أهل القبور".

ولقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن هذا الصنف: } ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (39){ الحجر

قال القرطبي رحمه الله "طول الأمل داءٌ عُضَال، ومرض فتَّاك، ومتى تمكَّن من القلب فَسَد وصَعُب علاجه، ولم ينجح فيه دواء، وهو الداء الذي أعيا الأطباء، ويَئِس من شفائه الحكماء والعلماء"؛ اهـ.

فعلى الإنسان أن يتذكر دائمًا وأبدًا أن الموت قد يأتيه في أي لحظة، فليستعدَّ له من الآن.

فقد أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: "خطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا، وقال: (هذا الإنسان)، وخطَّ إلى جنبه خطًّا، وقال: (هذا أجَله)، وخط خطًّا آخر بعيدًا منه، فقال:(وهذا الأمل)، فبينما هو كذلك، إذ جاءه الأقرب".

فيا مَن بدُنْياهُ اشتغلْ *** وغرَّه طُولُ الأَمَلْ

وقد مضى في غفلةٍ *** حتى دنا من الأَجَلْ

الموتُ يأتي بَغْتةً *** والقبرُ صندوقُ العَمَلْ

وكان عليُّ بن أبي طالب يقول كما عند البخاري معلقًا: "إن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسِي الآخرة".

ويُروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قام على درج مسجد دمشق، فقال: "يا أهل دمشق، ألا تسمعونَ من أخٍ لكم ناصح؟ إن مَن كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرًا، ويَبْنُون مشيدًا، ويؤمِّلون بعيدًا، فأصبح جمعهم بورًا، وبنيانهم قبورًا، وآمالهم غرورًا، هذه عادٌ قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً، وخيلاً ورجالاً، فمَن يشتري مني اليوم تركتَهم بدِرْهَمين، وأنشد:

يا ذا المؤمِّل آمالاً وإن بَعُدَتْ *** منه ويزعمُ أن يَحظَى بأقصاها

أنَّى تفوزُ بما تَرجُوه وَيْكَ وما*** أصبحتَ في ثقةٍ من نَيْل أدناها

وقال الحسن رحمه الله "ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل".

وجاء في الأثر: "أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا".

5ـ مصاحبة الأشرار :-

أخرج الترمذي وأبو داود وحسَّنه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (الرجلُ على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يُخَالِل) ؛ صحيح الجامع

وفي "الصحيحين" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(أنت مع مَن أحببتَ)، فالصاحب ساحب، إما أن يأخذ بيديك إلى مرضاة الله، وإما أن يأخذ بيديك إلى معصية الله عز وجل.

فكم من أناسٍ عاشوا على طاعة الله، فلما اختلطوا بالعُصَاة والأشرار، فإذا بهم ينتكسون على أعقابهم، وينغمسون في الذنوب والمعاصي، ويموتون على ذلك، بل ومنهم مَن يموت على الكفر بعد الإيمان، ومنهم من يُحَال بينه وبين الإيمان، بسبب مصاحبة الأشرار.وهذه بعض النماذج....

1ـ فها هو عُقبَة بن أبي مُعَيط الذي مات على الكفر بسبب صحبة السوء، فقد رُوي كما في تفسير البغوي: "أن عقبة كان صديقًا لأُبَيِّ بن خَلَف، فصنع عُقْبة وَلِيمة فدعا إليها قريشًا، ودعا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فلما قُدِّمَ الطعامُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أني رسول الله) ففعل، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامِه، فلما بلغ أُبَيَّ بن خلف ذلك، قال لصديقه عُقْبة: أصبَأْتَ؟ قال: لا، ولكن دخل عليَّ رجل عظيم، فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له بالرسالة، فقال له أُبَي بن خلف: وجهي من وجهك حرام، إن رأيت محمدًا حتى تبزق في وجهه، وتطأ على عنقه، وتقول: كيت، وكيت، ففعل عدوُّ الله ما أمره به خليله، فأنزل الله: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا(29)) الفرقان

2ـ وأخرج الإمام مسلم من حديث سعيد بن المسيِّب عن أبيه قال: "لما حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل، وعبدالله بن أبي أميَّة بن المُغِيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهدُ لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يعرِضُها عليه ويُعِيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأَبَى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك)، فأنزل الله تعالي}مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ(113) {التوبة

وقال الله تعالى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم} إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ(56){ القصص

3ـ وها هم أربعةٌ من الشباب "ممَّن كانوا على الإثم والعدوان، يجتمعون على الفجور والزنا، لا يسمعون ببلد يكثر فيها الخَنَا والفجور إلا سافروا إليها، وفي بلد من البلدان والتي مكثوا فيها أكثر من أسبوع وهم بين زنا وخمور وأفعال لا ترضي الرحمن، وفي ذات ليلة وفي ساعة متأخِّرة من الليل، وبينما هم في غمرة اللهو والمُجُون، إذا بأحدِ الأربعة يَسقُط مغشيًّا عليه، فيُهرَع إليه أصحابه الثلاثة، فيجدونه في أنفاسه الأخيرة، فيقول له أحدهم: يا أخي، قل: لا إله إلا الله، فيرد الشاب ويقول: إليك عني، زدني كأس خمر،

وتعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى الله عز وجل وهو في تلك الحالة السيئة؛ ليجعل الله قصَّته عبرة لمَن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فعادوا إلى بلادهم وهو معهم، ولكنه محمولٌ في تابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكَّدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد، فاللهم ارزقنا حسن الخاتمة"؛ اهـ

قال الذهبي رحمه الله في كتابه "الكبائر": "ما من ميتٍ يموت إلا مثِّل له جلساؤه الذين كان يجالسهم".

6ـ تعلق القلب بغير الله تعالي :ـ

فإذا تعلَّق القلب بالله عز وجل فإنه يسعد في الدنيا والآخرة، ومهما تعلَّق بغير الله عز وجل فإنه يشقى في الدنيا والآخرة؛ ففي القلب فقر واضطرار إلى الله عز وجل لا يسعد إلا بمعرفته، ولا يطمئن إلا بطاعته وعبادته وذكره، قال تعالى} الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28){) [الرعد].

فإذا تعلَّق القلبُ بغير الله محبةً، أو توكلاً، أو خوفًا، أو رجاءً، فلا بد أن يشقى العبد، فهو تَعِيس غير سعيد، والأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في "صحيح البخاري":(تَعِس عبدُ الدينار، وعبدُ الدِّرهم، وعبد الخَمِيصة، وعبد القَطِيفة)

ومن القصص الواقعي عن بعض الموتى"

"أن رجلاً تعلَّق قلبُه بحب المال تعلقًا شديدًا، وقد بلغ من الكبر عِتيًا، ليس له أحدٌ يَرِثه، لا زوج ولا ولد، ولا قريب ولا حبيب، فلما حانت ساعته الأخيرة، ما كان منه إلا أن جمع ذهبه أمامه، وجعل بجواره زيتًا، وهو يخاطب الذهب، ويقول: يا حبيبي، يا مَن أفنيت فيك عمري، أموت وأتركك لغيري، لا والله، أنا أعلم أن موتي قريب، وأن مرضي خطير، ولكني سأدفنك معي، ثم جعل يأخذ دينار الذهب، ويغمسه في الزيت ويهوي به إلى فمه ليبلعَه، فإذا بلعه أصابته كحَّة شديدة، تكاد أن تذهب بروحه، ثم يأخذ نفسًا ويرفع دينارًا ثانيًا، ثم يغمسه في الزيت ويهوي به إلى فمه... وهكذا، حتى مات من جرَّاء ذلك"؛ اهـ

فاجعل حبَّك الأول والأكبر والأعظم لله ولرسوله، ولا تجعل حبَّ الآباء، أو الأبناء، أو الإخوان، أو الأزواج، أو العشيرة، أو المال، يطغَى على حبك لله ولرسوله، قال تعالى} قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24){) التوبة

وصدق القائل حيث قال:

أنتَ القتيلُ بكلِّ مَن أحببتَه فاخترْ لنفسِك في الهوى مَن تَصْطفِي

فكل مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّبَ به ثلاث مرات في هذه الدار، فهو يُعذب به قبل حصوله حتى يحصُل عليه، فإذا حَصَل عليه عذِّب به حال حصولِه بالخوف من سلبه وفواتِه، فإذا سُلِبه اشتدَّ عليه عذابُهُ، فهذه ثلاثةُ أنواع من العذاب في هذه الدار, وأما في البرزخ، فعذابٌ يقارنه ألمُ الفراقِ الذي لا يرجو عَوْدَه، وألمُ فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده، وألمُ الحجاب عن الله، وألمُ الحسرة والتي تقطعُ الأكباد، فالهمُّ والغمُّ والحسرة والحزنُ تعمل في نفوسهم نظيرَ ما تعمل الهوامُّ والديدانُ في أبدانهم، بل عملُها في

النفوس دائم مستمر، حتى يردَّها الله إلى أجسادها، فحينئذٍ ينتقلُ العذاب إلى نوع هو أدهى وأمرُّ"؛ (الداء والدواء لابن القيم - رحمه الله(

فلا يجوز للعبد أن يعلِّق قلبه بغير الله - عز وجل - لأن ذلك قد يغلب على قلبه، ويشغل خاطره عن ذكر الله في الدنيا وعلى فراش الموت.

7ـ فساد المعتقد والتَّعبُّد بالبدع :ـ

وهو أن يعتقد الإنسانُ في ذات الله تعالى أو صفاتِه أو أفعاله خلافَ الحق، إما تقليدًا، أو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت، بان له بطلان ما اعتقده، فظن أن جميع ما اعتقده لا أصل له.

وكم خُتِم لكثير من البشر بهذا، عندما ابتدعوا في دين الله - عز وجل - وزاغوا وانحرفوا عن صراط الله المستقيم، وظهرت حقيقتهم في أول لقاء لهم مع ربِّ العالمين سبحانه فإن أهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا عند الموت، وذلك لسوء معتقدهم، وفساد قلوبهم، ومرضها بالشبهات والشكوك؛ فهم الذين قال الله عز وجل عنهم} وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ(47){) [الزمر].

وقال تعالى} قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104){ الكهف

العنصر السادس : خوف السلف من الخاتمة :ـ

فالخاتمة أقلقت مضاجع العارفين ،ومن هنا كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون علي أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه ،فالمؤمن يخاف علي نفسه النفاق الأصغر ،ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلي النفاق الأكبر وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يكثر أن يقول في دعائه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك فقيل له يانبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟فقال :نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء "أخرجه الإمام والترمذي من حديث أنس .

وها هو يزيد الرقاشي حضرته الوفاة وحوله أهله يبكون فنظر إلي والده وقال أيها الوالد الشفيق الرحيم ماالذي يبكيك فقال أبكي فقدك وما أري من جهدك ،ثم نظر إلي أمه وقال أيتها الأم الشفيقة الرحيمة ماالذي يبكيك فقالت أبكي فقدك وما أري من جهدك . ثم نظر إلي أولاده الصغار فقال يا معشر اليتامى مالذي يبكيكم فقالوا نبكي فقدك وما نري من أثر اليتم من بعدك فصرخ وقال كلكم يبكي لدنياي أما فيكم من يبكي لآخرتي ،أما فيكم من يبكي لملا قاة التراب وحدي ،أما فيكم من يبكي لملاقاة منكر ونكير إياي فشهق شهقة ولحق بالرفيق الأعلى .

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا الذي يصلي عنك بعد الموت، من ذا الذي يصوم عنك بعد الموت.

ثم يقول: أيها الناس، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم.

وبكى سفيان الثوري ليلة، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذه، إنما أبكي خوف سوء الخاتمة، لأنه الأمر الذي يبكي عليه، ويصرف الاهتمام إليه؛ ولذلك قيل:'لا تكف دمعك حتى ترى في المعاد ربعك'. وقيل:' لا تكحل عينك بنوم، حتى ترى حالك بعد اليوم'.

وبكى أبو هريرة عند موته،وقال:' والله ما أبكى حزنًا على الدنيا، ولا جزعًا من فراقكم، ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي، بجنة أم بنار'.

وقال الشعبي: لما طعن عمر، جاء ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين،أسلمت حين كفر الناس،وجاهدت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين خذله الناس، وقتلت شهيدًا، ولم يختلف عليك اثنان، وتوفى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو عنك راض، فقال له: أعد مقالتك، فأعاد عليه، فقال:' المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس، أو غربت، لافتديت به من هول المطلع.

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة، بكى، فقيل له في ذلك، فقال: إني أنتظر رسولاً يأتيني من ربي، لا أدري هل يبشرني بالجنة، أو بالنار.

ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة، بكى فقيل له: ما يبكيك، فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية.

ولما حضرت الفضيل بن عياض الوفاة، غُشِيَ عليه، ثم أفاق، وقال: يا بُعْدَ سفري، وقلة زادي.

ولما حضرت الوفاة عامر بن عبد قيس بكي، فيل له: ما يبكيك، قال أبكي لقوله تعالى: }إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27){ المائدة

أخي المسلم .. يا من الموت موعده، والقبر بيته والثرى فراشه، والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله. فعلينا بالاجتهاد في الطاعة والعمل الصالح حتي يوفقنا الله تعالي للخاتمة الحسنة ، نسأل الله تعالي حسن الخاتمة ، اللهم اجعل أعمارنا آخرها ، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه ... آمين يارب العالمين

تمت بفضل الله تعالي وتوفيقه

السبيل إلى حُسْن الخاتمة د/ عادل هنيدي

الحمد لله ربّ العالمين، الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، هو عزّ كل ذليل، وهو قوّة كل ضعيف، وهو غوث كل ملهوف، وهو ناصر كل مظلوم، قال في الحديث القدسي: (**يا ابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض ذنوباً ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لجئتك بقرابها مغفرة**)، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبدالله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، أخبرنا أن الله (**إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا: وَمَا طَهُورُ الْعَبْدِ يَا رَسُولَ اللهِ؟, قَالَ: عَمَلٌ صَالِحٌ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ, حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ**)، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه ودربه إلى يوم الدين، **أما بعد**:

فَمِن عظيم نعم الله على العبد أن يمنّ عليه بالتوفيق في سائر عمله في تلك الحياة، ومن أعظم التوفيق أن يوفق الله عبده لعمل صالح قبل أن يلقاه..

حديثنا اليوم عن محط أمل الصالحين، وهدف المصلحين، وغاية المتقين: (حُسْن الخاتمة).. إنها تلك القضية التي أخفاها الله عنّا ليعيش العبد بين خوف ورجاء؛ لينصَلِحَ حاله ولا يغتر بعمله في الحسن أو السوء على السواء.. فَإِنَّ آخِرَ ساعةٍ في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته الحقيقية المختبئة، لا حياته الظاهرة فقط أمام الناس..

موقف في بداية الخطبة للعبرة والتمهيد للموضوع:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهز جيشاً من الجيوش لمعركةٍ حاسمةٍ مع الكفار، فجاء صحابيٌ إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو يومئذٍ كافر، فقال: (**يا محمد! أرأيت إن اتبعتك فما الذي لي وما الذي عليَّ؟ قال: إن شهدت أن لا إله إلا الله وإني رسول الله كان لك ما للمسلمين عامة، وعليك ما عليهم عامة، فإن غنموا غنمت معهم، فقال: ما على هذا أتبعك، فشهد أن لا إله إلا الله وشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن غنموا فأنت معهم في الغنيمة، وإن مت فلك الجنة من الله جل وعلا، فقال ذلك الصحابي: والله ما على هذا اتبعتك؟ -أي: ما اتبعتك لأجل الغنيمة- وإنما اتبعتك على أن أغزو معك فأرمى بسهم من هاهنا -وأشار إلى نحره- ويخرج السهم من هاهنا -وأشار إلى قفاه- ثم دخل المعركة وقاتل وأبلى بلاءً حسناً، فجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمي بسهم دخل في نحره وخرج من رقبته، فقال صلى الله عليه وسلم: صدق الله فصدقه، بخٍ بخ عمل قليلاً ونال كثيراً، دخل الجنة وما سجد لله سجدة**) إنها الخاتمة التي يطلبها كل إنسان صالح، وكل ذي عقل راجح!!

لماذا نهتمّ بقضية (حُسن الخاتمة)؟

1. **لأن وقت الاحتضار وخروج الروح ستمرُّ به كل نفس**، وهو أصعب وقت على كل إنسان، فإنَّ كل حي وجد على هذه الأرض لا بد وأنه سيلاقي مصيراً محتوماً، ألا وهو الموت، فالموت مصير كل حي على هذه المعمورة، وهو يأتي فجأة دون نذير مسبق؛ قال تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** [آل عمران: 185] والمُوَفَّق من وفَّقه الله تعالى ليكون خروج روحه على طاعة وقول حسنٍ.

2. **لانشغال النَّاس بالدنيا لدرجةٍ أَنسَتْهُم الآخرة وما فيها وما عليها**، بل لدرجة أنه عند موت بعض هؤلاء المنشغلين بالدنيا وتجاراتها، لما لُقِّن الشهادة عند الاحتضار إذا به يقول: **هذه القطعة من القماش بكذا وكذا، واشتر هذه بكذا إن أَرَدت... فسيطرت عليه الدنيا حتى عند لحظة مغادرته الحياة**. ويأتي أحدنا لزيارة المقابر وهو يودّع قريبًا أو صديقًا ثم تراه نسي كل المواعظ التي رآها بلحظة موت قريبه وكفى به واعظًا!!

3. **لأنَّ عليها مدار الموقف يوم القيامة فالأعمال بالخواتيم كما ورد في الصحاح**.. وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**». وقد ثبت في صحيح البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، **فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ**، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ**

لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» نسأل الله الثبات عند الممات.

4. **لاختلاف أحوال الناس عند الموت؛** بما يجعل الإنسان على حذر؛ فكم سمعنا عن قصص ونماذج لأناس ختم الله لهم بالحسن كمن مات قارئًا للقرآن، أو ملبيا مُحْرِمًا، أو ساجدًا مُصَلِّيًا، أو سَاعِيًا في الحوائج للناس... وسمعنا أيضًا -في ذات الوقت- عن أناس مات بعضهم وهو يشرب خمرًا أو يستهزئ بالدِّين، أو وهو يفعل الفاحشة، أو يشاهد منكرًا..

اهتمام الرسول بقضية حُسْن الخاتمة وتأكيداته على خطورتها:

✍ **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا)** هكذا كانت إشارته صلى الله عليه وسلّم لأمّته بالحذر من الختام السيئ والبحث عن الخاتمة الحسنة.

✍ورد في سنن الترمذيّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»** فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ»**..

✍وعند أحمد في مسنده: **(إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ)**، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: **(يَفْتَحُ اللهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ)**..

///

أخوف شيء أن يُحرم الإنسان الخاتمة الحسنة:

قال ابن القيم في الجواب الكافي: ثم أمر أخوف من ذلك وأدهى وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى الله تعالى! فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين ممن أصابهم ذلك.

ثم ذكر -رحمه الله- صوراً لبعضهم، منها: قيل لبعضهم: قل لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تان تنا تن تنا.

وقيل لآخر: فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها إلى آخر الصور التي ذكرها رحمه الله تعالى إلى قوله: وسبحان الله! كم شاهد الناس من هذا عبراً، والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم.

علامات حُسْن الخاتمة:

وتنقسم تلك العلامات إلى قسمين: (قسم لا يرى أثرها إلا الميت نفسه، وقسم يراها الأحياء عليه عند الموت) ومن القسم الأول: بشرى الملائكة للعبد المؤمن الصالح عند سكرات الموت، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: 30 - 32]

ومن العلامات التي يراها الناس على الميت عند موته ما يأتي، لكن ينبّه على أنها ليست حصرية، وليست دلالة حتمية على صلاح صاحبها، إلا أنها من المبشرات، ومنها:

1. الموت ليلة الجمعة أو نهارها: لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر). وانتبه لكلمة (مسلم) فالمسلم الحقيقي كما ثبت في الأحاديث هو:
   - من سلم الناس من لسانه ويده.
   - من يسر على المعسرين وفرّجَ كُرب الكروبين.
   - من نصر مظلوما في مظلمة ولم يخذله؛ فالمسلم أخو المسلم..
2. الشهادة في سبيل الله أو في سبيل مظلمة: فالشهيد **(دفاعًا عن أمته ودينه ووطنه)** خاتمته فيما نرى طيبة؛ وقد رَوَى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ**». فهؤلاء الذين يُقتلون دِفاعًا عن عِرْض أَوْطانهم وحقوقهم حُرُماتِهم شُهَداء... وقد روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ**».

☜ **ولا تتوقف الشهادة عند حد الموت في المعركة العسكرية مع العدو**؛ بل يدخل فيه الشهيد بالبطن والغرق ومن ماتت في نِفَاسها بعد الولادة، ومنه من مات بالطاعون **(السّرطان)**؛ فقد روى البُخَارِي ومُسْلِم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»

☜ ومنها: **الموت بداء البطن**، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَن مَاتَ فِي البَطنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» وذكرَ بعض الشُّرّاح أن المبطُون من إصابة إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

☜ ومنها: **الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب**، أو **موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها**، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»

3. الموت دفاعاً عن المال المراد غصبه: عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ " وعَنْه -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقُتِلَ دُونَهُ، فَهُوَ شَهِيدٌ " وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ: "فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ"، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : "قَاتِلْهُ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: "فَأَنْتَ شَهِيدٌ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: "هُوَ فِي النَّارِ"..

4. التوفيق لكلمة التوحيد (الإخلاص) عند الموت: روى أبو داود في سننه من حديث معاذ - رضي الله عنه -: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قال بعض أهل العلم: «**لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره بباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه**». وحق مَن عالَجَ سكرات الموت على الأحياء أن يلقّنوه بحكمة كلمة التوحيد عند موته؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**)) [رواه مسلم]..

5. الموت برشح الجبين: وقد يُفهم منها أن يموت عرقًا من أثر السعي على لقمة العيش، أو أن يعرق عند الموت، وقد بشر النبي بأنه شهيد ومغفور له..

❦ ❦ ❦

كيف تُحسن خاتمتك؟

ما السبيل إلى حُسْن الخاتمة؟

<u>أولا: الاستقامة على الطاعة في الدنيا</u>؛ فمن عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعِث عليه. فمن استقام في الدنيا على طاعة ربه واستقام قلبه، حسنت خاتمته؛ قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا**

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ} [فصلت: 30]، الآية.. **{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}** عند الموت، قيل: إذا قاموا من قبورهم، وقيل: البشرى في ثلاث مواطن عند **الموت**، وفي **القبر**، وعند **البعث**، كلها يبشر فيها.

ثانياً: الإيمان قال تعالى: **{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء}** [إبراهيم: 27]، فأخبر أنه يثبت عباده المؤمنين الذين قاموا بما عليهم من الإيمان في القلب الذي يصدقه العمل الجوارح. ويشمل ذلك أن يلح المرء في دعاء الله تعالى أن يتوفاه على الإيمان والتقوى..

ثالثًا: التقوى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)** [آل عمران: 102]، ووعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم فرجًا مخرجًا، قال: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}** [الطلاق: 2]، **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}** [الطلاق: 4].

رابعًا: حسن الظن بالله. قال عليه الصلاة والسلام: **((إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله))** لكن هذا حسن الظن بالله يجب أن يكون مبنيًا على ماذا؟ على أعمال صالحة، وتوبة من الأعمال السيئة، حتى يكون حسن ظن صحيح **((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل))**

خامسًا: الصدق. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ}**

وكان الصدق من سبب نجاة المؤمنين، وحسن خاتمتهم، ألم تر أن أنس بن النضر لما غاب عن قتال بدر رضي الله عنه قال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع؟ ..... فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: **"اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدَّم** فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد؟ قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم قال أنس: "فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه" قال أنس: "كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}** [الأحزاب: 23].

هل تذكرون معي:

✍**عبدالله بن جحش**-رضي الله عنه-عندما خرج لمعركة أحد دعا الله-عز وجل-قائلاً: "يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده فأقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني ويجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك،

فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت. وبعد المعركة رآه بعض الصحابة مجدوع الأنف والأذن كما دعا.

✍وهذا **عمير بن الحمام** عندما خطب رسول الله في أصحابه حاثاً لهم على الاستشهاد في سبيل الله في معركة بدر قال : **(قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)**.فسمع عمير بن الحُمام هذا الفضل العظيم، وقال: والله يا رسول الله! إني أرجو أن أكون من أهلها. فقال:**(فإنك من أهلها)**.فأخرج عمير تمرات من جعبته ليأكلها ويتقوى بها، فما كادت تصل إلى فمه حتى رماها وقال: إنها لحياة طويلة إن أنا حييت حتى آكل تمراتي، فقاتل المشركين حتى قتل.

✍وهذا **أبو الدرداء رضي الله عنه** وأرضاه لما حضرته الوفاة، جعل يجود بنفسه وقال: [ألا رجلٌ يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجلٌ يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجلٌ يعمل لمثل ساعتي هذه؟].

✍ولما احتضر **عمر بن عبد العزيز**-رحمه الله- قال لمن حوله: أخرجوا عني فلا يبق أحد. فخرجوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: **{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}**، ثم قُبض-رحمه الله-.

سادسًا:التوبــة الدائمــة: قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ}** فإذا صارت التوبة نصوحًا، ومات الإنسان عليها، فهذا من علامات حسن الخاتمة. كمثل تلك المرأة التي تابت توبة من الفاحشة لو قسمت بين سبعين لوسعتهم. كما روى الإمام مسلم، وكمل توبة ماعز بن مالك رضي الله عنه وسبح في أنهار الجنة.

سابعًا: أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه، ورأس ذلك وأساسه تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرمات، والمبادرة إلى التوبة مما تلطخ به المرء منها، لا سيما التخلص من ظلم العباد؛ فاتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب.

ثامنًا: الارتباط بالصالحين سبب مهم جداً؛ ليسير الإنسان في طريق صحيح، ويختم له بخاتمة حسنة، لأن الإنسان عندما يساير الصالحين ويحب الصالحين ويعيش مع الصالحين، ويسايرهم في تنقلاتهم وتحركاتهم وأعمالهم وتصرفاتهم، يسير معهم على الهدى وطريق الحق، ويكون مثلهم، هذا هو الأصل في هذه القضية؛ (فالمرء على دين خليله).

تاسعًا: الدعاء واللجوء إلى الله تعالى بأن يميتك على الحُسْن من العمل: كان عامر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا صلى رفع يديه قائلاً: اللهم إني أسألك الميتة الحسنة قال أبناؤه: وما هي الميتة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني وأنا ساجد فقام وصلى، فقبض الله روحه وهو ساجد.

ᵕᵕ ᵕᵕ ᵕᵕ

وأخيرًا: اعلم أخي المسلم- أختي المسلمة: أنّ تحصيل حسن الخاتمة ليس شطارة من العبد؛ بل هي محض توفيق من الله تعالى، غير أنها تأتي بالاجتهاد والسعي أيضًا؛ فبقدر المجهود يكون الجود... وها نحن نستقبل عاما هجريا جديدا ونختتم سابقه، فلنحسن فيما بقي ليغفر الله لنا تقصير ما سبق.. **نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة..**

تزكية النفوس المؤمنة بأسباب حسن الخاتمة للشيخ السيد مراد سلامة

عناصر الخطبة:
العنصر الأول: تعريف حسن الخاتمة.
العنصر الثاني: علامات حسن الخاتمة.
العنصر الثالث: أسباب حسن الخاتمة.
العنصر الرابع: نماذج لبعض الناس خُتمت لهم بخاتمة السَّعادة.

الأدلة والبيان.
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102]، وقال يوسف - عليه السلام -: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: 101].

وقال سبحانه: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: 99]، هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمنًا بربه، راضيًا بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الأعمال بخواتيمها"

العنصر الأول: تعريف حسن الخاتمة:
حسن الخاتمة هو: أن يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة، ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله) قالوا: كيف يستعمله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل موته) رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم في المستدرك.

ولحسن الخاتمة علامات، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره، ومنها ما يظهر للناس.

أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلا منه تعالى، كما قال جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: 30]، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وفي قبورهم، وعند بعثهم من قبورهم.

ومما يدل على هذا أيضا ما رواه البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ فقال:

(ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه).

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام: (ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة)، وقال: (ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قوما بحب الحياة فقال: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) [يونس: 7].

وقال الخطابي: (معنى محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهية بضد ذلك)

وقال الإمام النووي رحمه الله: (معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه)

العنصر الثاني علامات حسن الخاتمة:

أما عن علامات حسن الخاتمة فهي كثيرة، وقد تتبعها العلماء رحمهم الله باستقراء النصوص الواردة في ذلك، ونحن نورد هنا بعضا منها، فمن ذلك:

1- النطق بالشهادة عند الموت:

ودليله ما رواه الحاكم وغيره أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)

كان حبيب العجمي يبكي ويقول: من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، ثم يبكي ويقول: ومن لي بأن يختم لي بلا إله إلا الله.

قصة: رجل عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغي إلا وجه الله، وقبل الموت مرض مرضاً شديداً فأقعده في الفراش وأفقده النطق، فعجز عن الذهاب إلى المسجد، فلما اشتد عليه المرض بكى ورأى المحيطون به على وجهه أمارات الضيق وكأنه يخاطب نفسه قائلاً: يا رب أؤذن لك أربعين سنة وأنت تعلم أني ما ابتغيت الأجر إلا منك، وأحرم من الأذان في آخر لحظات حياتي، ثم تتغير ملامح هذا الوجه إلى البشر والسرور ويقسم أبناؤه أنه لما حان وقت الأذان وقف على فراشه واتجه إلى القبلة ورفع الأذان في غرفته، وما إن وصل إلى آخر كلمات الأذان: لا إله إلا الله خر ساقطاً على الفراش، فأسرع إليه بنوه فوجدوه قد مات.

2- الموت برشح الجبين

أي: أن يكون على جبينه عرق عند الموت، لما رواه بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (موت المؤمن بعرق الجبين) رواه أحمد والترمذي.

قصة: وأخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول والحاكم عن سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرقبوا الميت عند موته ثلاثًا».

إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشرت منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به.
وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله قد حل به.

وأخرج سعيد بن منصور في سننه والمروزى في الجنائز عن ابن مسعود قال إن المؤمن يبقى عليه خطايا يجازي بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علقمة بن قيس أنه حضر ابن عمٍ له وقد حضرته الوفاة فمسح جبينه فإذا هو يرشح.

فقال الله أكبر حدثني ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «موت المؤمن يرشح الجبين وما من مؤمن إلا له ذنوب يكافأ بها في الدنيا ويبقى عليه بقية يشدد بها عليه عند الموت».

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن علقمة أنه حضر ابن أخ له لما حضر (أي حضره الموت) فجعل يعرق جبينه فضحك فقيل له ما يضحكك..

قال سمعت ابن مسعود يقول: إن نفس المؤمن تخرج رشحًا وإن نفس الكافر أو الفاجر تخرج من شدقة كما تخرج نفس الحمار.

وإن المؤمن ليكون قد عمل السيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها وإن الكافر أو الفاجر ليكون قد عمل الحسنة فيهون عليه عند الموت.

وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن سفيان قال: كانوا يستحبون العرق للميت قال بعض العلماء إنما يعرق جبينه حياءً من ربه لما اقترف من مخالفته لأن ما سبق منه قد مات.

3- الموت ليلة الجمعة أو نهارها
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر).

4- الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله، أو موته غازياً في سبيل الله، أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقاً.

ودليل ما تقدم ما رواه مسلم في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد).

سمعت طلحة بن خراش قال: سمعت جابرا يقول:
لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي:
(يا جابر! مالي أراك منكسرا)؟ فقلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا فقال:
(ألا أبشرك بما لقي الله به أباك)؟ قلت: بلى يا رسول الله قال:
(ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإن الله أحيا أباك فكلمه كفاحا فقال: يا عبدي! تمن أعطك قال: تحييني فأقتل قتلة [ص:135] ثانية قال إلهي: إني قضيت أنهم لا يرجعون) ونزلت هذه الآية: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169].

5- الموت بسبب الهدم
لما رواه البخاري ومسلم عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله).

6- ومن علامات حسن الخاتمة، وهو خاص بالنساء: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به
ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: (والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى الجنة) يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

7- الموت بالحرق وذات الجنب
ومن أدلته أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أصنافاً من الشهداء فذكر منهم الحريق، وصاحب ذات الجنب: وهي ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

8- الموت بداء السل:
حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شهادة.

9- ومنها أيضاً ما دل عليه ما رواه أبو داود والنسائي وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل دون ما له فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد).

10- الموت رباطا في سبيل الله:
لما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان). ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود براً وبحراً وجواً على اختلاف مواقعهم إذا احتسبوا الأجر في ذلك.

11- الموت على عمل صالح:
لقوله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ختم له بها دخل الجنة) رواه الإمام أحمد وغيره.

فهذه نحو من عشرين علامة على حسن الخاتمة علمت باستقراء النصوص، وقد نبه إليها العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه القيم (أحكام الجنائز).

العنصر الثالث: أسباب حسن الخاتمة:
1-الاستقامة: في الاستقامة لِحَاقٌ برَكْبِ الأنبياء و المرسلين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، قال تعالى:
(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69].

وقد بيَّن المولى سبحانه أن اللحاق بركب المستقيمين والظفر بصحبتهم هي أمنية الأنبياء والمرسلين؛ فذَكَرَ من دعاء سليمان عليه السلام:
(وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [النمل:19].

وحكَى عن يوسف عليه السلام ابتهاله إلى ربه بقوله:
(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف:101].

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: 30]

محمد بن المُنكدر رحمه الله:
يقول صفوان بن سليم رحمه الله: "أتيتُ محمدَ بنَ المنكدر وهو في الموت فقلت: يا أبا عبدالله، كأني أراك قد شَقَّ عليك الموت، فما زال يُهوّن عليه الأمرَ، ويَنجلي عن محمد، حتى لَكان وجهُه المصابيحَ، ثم قال محمدُ بن المنكدر لصفوان: لو تَرى ما أنا فيه لَقرَّت عينُك، ثم مات"؛ (الثبات عند الممات: ص141).

آدم بن أبي إياس العسقلاني رحمه الله:
قال أبو علي المقدسي: "لما حضرت آدمَ بنَ إياس الوفاةُ، خَتم القرآنَ، وهو مُسجَّى، ثم قال: بحُبّي لك، إلا رَفقت بي في هذا المصرع، كنتُ أؤمِّلُك لهذا اليوم، كنتُ أرجوك، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم قضى"؛ (الثبات عند الممات: ص159).

2-حسن الظن بالله: مفهوم حسن الظن بالله تعالى: هو ظنّ ما يليق بالله تعالى واعتقاد ما يحق بجلاله وما تفتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العليا مما يؤثر في حياة المؤمن على الوجه الذي يرضي الله تعالى. قال علي بن طالب رضي الله عنه: حسن الظنّ بالله ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك.

عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يقول الله تعالى أن عند حسن ظن عبدي بي)) رواه البخاري ومسلم.

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».

ودخل واثِلَةُ بن الأسْقَع على أبي الأسود الجُرَشي في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه وجلس. فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهه، فقال له واثلة: واحدةٌ أسألك عنها.

قال: وما هي؟
قال: كيف ظنك بربك؟
فأومأ أبو الأسود برأسه، أي حسن.

فقال واثلة: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» رواه أحمد.

3-التقوى: و التقوى عباد الله هي سفينة النجاة التي من ركبها نجا و من تخلف عنها هلك في أمواج(وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الزمر: 61] الفتن قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) [الطلاق: 4].

أبو بكر بن أبي مريم رحمه الله:

يقول يَزيد بنُ عبدربه رحمه الله: "عُدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النَّزع، فقلت له: رحمك الله، لو جَرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا، وكان صائمًا، ثم جاء اللَّيل، فقال: أُذِّنَ؟ فقلت: نعم، فقطرنا في فمِه قطرةَ ماءٍ ثم مات"؛ (الثبات عند الممات: ص152).

4-الصدق: والصدق مفتاح الهداية طريق البر فمن صدق الله تعالى في نياته و في أحواله صدقه الله تعالى بالسلامة و حسن الخاتمة قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119]

عن شداد بن الهادِ رضي الله عنه، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: " أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا فقسَّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم.

فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهمٍ فأموت فأدخل الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: " إن تصدق الله يصدقك ".

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم يُحملُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه ". ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: " اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرًا، فقُتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك ".

5-التوبة: التوبة هي بداية الطريق ووسطه و نهايته هي عنوان السعادة و منشور الولاية من منحها كان من المفلحين الفائزين قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور: 31]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التحريم: 8].

وقد قص النبي صلى الله عليه وسلم قصة رجل أسرف على نفسه ثم تاب وأناب فقبل الله توبته، والقصة رواها الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملَكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة. قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره).أخرجه أحمد و مسلم.

6-الدعاء: و الدعاء هو سلاح المؤمن و المجاهد لا يدع سلاحه حتى تنتهي المعركة و معركتي و معركتك مع الشيطان و لا تنتهي بالظفر و الانتصار حتى يختم للعبد بخاتمة السعادة لذا فالمؤمن لا يفتر لسانه بالدعاء فها هو حبيبك صلى الله عليه وسلم كان لا يفتُر لسانه عن هذا الدعاء: ((يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك))؛ (الترمذي عن أنس - رضي الله عنه - وصححه الألباني في صحيح الجامع: 7987).

وها هو الحق -جل وعلا -: يُعلِّمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم:
(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [آل عمران: 8].
وكان من دعاء الصالحين أن يتوفَّاهم اللهُ تعالى على الإيمان، وأن يُكفِّر عنهم السيِّئات، وأن يتوفاهم مع الأبرار، وفي ذلك يقول عنهم الله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) [آل عمران: 193].

وقد كان مَطلب يوسفَ الصِّدِّيق عليه السلام: حين دعا ربَّه عند انقضاء أجلِه وذَهاب عمُره أن يُميتَه على الإسلام، ويَحشرَه في زُمرة الصالحين، كما قال ربُّ العالمين عنه: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف: 101].

فاعلم أخي الحبيب. أنه لا ملجأ من الله إلا إليه؛ فعليك أن تلجأَ إليه في كل وقتٍ وحِينٍ ودائمًا وأبدًا، وأدعو الله أن يرزقَك حسنَ الخاتمة، وأن يُكرمك بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجَنَّة، وألا يحرمك من نعمة النَّظر إلى وجهه الكريم -عز وجل.

العنصر الرابع: نماذج لبعض الناس خُتمت لهم بخاتمة السَّعادة:
وأخيرا نقف مع صور من حسن الخاتمة نسأل الله تعالى أن يحسن ختامنا

مجاهد بن جَبر رحمه الله يموت وهو ساجدٌ:
يقول الفَضل بنُ دُكَين رحمه الله: "مات مجاهدٌ وهو ساجدٌ"؛ (الثبات عند الممات: ص123).

عبد الله بن المبارك رحمه الله:
قيل: إن عبدالله بنَ المُبارك لما حضرته الوفاةُ فتح عينيه، وضحِك، وقال: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) [الصافات: 61].

وهذا حدث أيضًا مع شيخ القُرَّاء أبي بكر النَّقاش، وأبي بكر النَّيسابُوري، ورِبعي بن حِراش العبسي.

العلاء بن زياد العدوي رحمه الله:
يقول زُهير بن أبي عطيَّة: "لما احتضر العلاءُ بن زياد العدوي، بكى، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ قال: كنتُ - واللهِ - أحِبُّ أن أستقبل الموتَ بالتوبة، فقيل له: فافعل رحمك الله، قال: فدعا بطَهور، فتطهَّر، ثم دعا بثَوبٍ له جديدٍ، فلبسَه، ثم استقبل القبلةَ، فأومأ برأسِه مرَّتين.. أو نحو ذلك، ثم اضجع، فمات"؛ (المحتضرين لابن أبي الدنيا: ص126).

إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله:
"حُكِي عنه أنه لما جاءه الموتُ، جعل يقول: يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتك أستغيث! واستقبل القبلةَ، وتشهَّد"؛ (سير أعلام النبلاء: 22/51).

في "صفة الصَّفوة": عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال:

"دخل قومٌ حُجَّاجٌ ومعهم امرأة تقول: أين بيتُ ربي.. أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة تَرَينه، فلما رأوه قالوا: هذا بيتُ ربِّك، أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: "بيت ربي.. بيت ربي"، حتى وضعت جبهتها على البيت، فوالله ما رُفِعَت إلا ميتة.

وقال الشيخ القحطاني في "تذكرة الإخوان":

"حدَّثَنى صاحبٌ لنا أنه مات رجل من قريتِهم، وكان مُؤذِّنًا للقرية ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة، لا يمنع أحدًا الأكلَ منها، لا من إنسان، ولا من حيوان، وكان كثيرَ الصَّدَقة، فمرِض قبل موته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمعنا، وكان لا يكلمنا، وكان يردد: "أستغفر الله، لا إله إلا الله"، وفجأة رفع يده في الهواء، كأنه يصافح أحدًا، وهو يقول: أهلاً بصديقي وحبيبي، ثم مات.

وقال أيضًا: "إنه أنزل رجلاً في قبره في ليلة ظلماء، شديدة الظُّلمة، وكان الجوُّ غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمُعة، وصلَّى عليه الشيخ ابنُ باز، ثم ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج أو كشَّاف لكي ننير القبر، ولكنه أبطأ علينا، فأخذت أعسُّ اللحد بيدي، فقلت للإخوة: أعطوني الميت، فلمَّا سللته من جهة الرِّجلَين، ووضعته في قبره، وفككت تلك الأربطة، وإذا بالأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنارت القبر، ورآه كلُّ مَن كان معي، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر.

مات وهو على هيئة الصلاة:

وهذه قصة رجلٌ يُدعى "ناصرًا"، وكان رجلاً صالحًا يَعمل نجَّارًا في الرياض، وكان كلما حان وقت سُنَّة الضحى، أغلق دكَّانه، وانطلق إلى المسجد المجاور للدُّكان، ثم توضأ وصلَّى سُنَّة الضُّحى، فبعد أن يَنتهي من صلاته: يَعود فيفتح دكانه، ثم يَعمل فيه، وفي يوم مِن الأيام أغلق دكانه كعادته، ودخل المسجد ليُصلِّي الضحى فتوضأ، ثم كبَّر وصلَّى، وما أن انتهى من الرَّكعة الأولى، وشرع في الركعة الثانية، فوضع يده اليمنى على اليسرى على الصدر، ثم مات وهو يُناجي ربه، مات وهو يُصلِّي، وما علموا بموته إلا عندما دخل المؤذن ليُؤذِّن لصلاة الظهر، فحملوه إلى بيته، وقاموا بتغسيله، فكلما أعادوا يده إلى جنبه، أعادها مرَّة أخرى إلى صدره، فكفَّنوه ويده موضوعة على صدره، كهيئتها في الصلاة، وسيُبعث هكذا إن شاء الله، فمَن مات على شيء، بُعِث عليه.

ماتت وهي ساجدة:

"وهذه قصة امرأة عَجوز، بلغت الثَّمانين من عُمُرها في مدينة الرِّياض، وكلَّما جلست مع النِّساء، رأت أن المجلس لا يُصرف إلا في القِيل والقال، وفي إضاعة الأوقات، فاعتزلت هذه المجالس، وجلست في بيتها تذكر اللهَ تعالى آناء الليل وأطراف النَّهار، وجعلت تصوم النهار، وتقوم الليل، وكان لها ولدٌ بارٌّ بها، وفي ليلة من الليالي قامت لتُصلِّي، يقول ابنها: وفي آخر الليل إذا بها تنادي عليَّ، قال: فتقدَّمْتُ وذهَبْتُ إليها، فإذا هي ساجِدة - على هيئة السُّجود - وتقول: يا بُنيَّ، ما يتحرك فيَّ الآن سوى لساني، قال: إذًا أذهب بكِ إلى المستشفى، قالت: لا، وإنما أقعدني هنا، قال: لا والله، لأذهبنَّ بكِ إلى المستشفى، وقد كان هذا الابن حريصًا على برِّها، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى، وتجمَّع الأطباء واحتاروا في أمرها، ولم يَعرفوا السَّببَ الذي جعل جسدها يتيبَّس على هيئة السجود، ولما عجزوا قالت لابنها: أسألك اللهَ أن تردَّني على سجادتي في بيتي، فأخذها وذهب بها إلى البيت، ثم وضَّأها وأعادها على سجادتها، فقامت تُصلِّي، يقول: وقبل الفجر بوقتٍ ليس بطويل، وإذا بها تُناديني، وتقول: يا بُنيَّ، أستودعك اللهَ الذي لا تَضيع ودائعُه، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لتصعد رُوحها إلى بارئها - جل وعلا - وهي ساجدة، فغسَّلوها وهي ساجدة، وكفَّنُوها وهي ساجدة، وحملوها إلى الصلاة عليها وهي ساجدة، وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة،

ودُفنت وهي ساجدة، وستبعث إن شاء الله وهي ساجدة؛ فمَن مات على شيء بُعِثَ عليه؛ (ا.هـ. بتصرف من محاضرة للشيخ علي القرني بعنوان "كلنا ذوو خطأ").

أسباب حسن الخاتمة وسوئها للشيخ بركات سيد احمد محمد

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا الله عبادَ الله حقَّ تقواه، وسَارِعوا دائمًا إلى مَغفرته ورِضاه، فقد فَاز وسَعدَ مَنْ أقبل على مولاَه، وخابَ وخسِر مَنِ اتَّبع هَواه وأعرَض عن أُخراه.

عبادَ الله:

إنَّ ربَّكم غَنيٌّ عَنكم، لا تضرّه مَعصيةُ مَنْ عَصاه، ولا تَنفعُه طاعةُ مَنْ أطاعَه، كما قال الله تعالى في الحديث القدسيِّ: ((يا عبادي، إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفعِي فتنفَعوني))[1]؛ رواه مسلم من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

وكما قالَ الله تعالى: (وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 176].

فالأعمالُ الصَّالحات سبب كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخِرة، وأعظم الأعمال وأفضلها أعمالُ القلوب؛ كالإيمان والتوكُّل، والخوف والرَّجاء، والرَّغبة والرَّهبة، وحبِّ ما يحبُّ الله وبُغض ما يبغض الله، وتعلُّق القلب بالله وحده في جَلْب كلِّ نفع ودفع كلِّ ضرٍّ، كما قال تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس: 107].

وأعمالُ الجوارح الصَّالحة تابعةٌ لأعمال القلوب، كما قال الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّما الأعمَالُ بالنِّيَّات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى))[2]؛ رواه البخاريُّ ومسلم من حديث عمر رضي الله عنه.

والأعمالُ السيِّئة الشرِّيرَة سببٌ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخِرة، كما قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: 30]، وقال تعالى: (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم: 41].

والعبدُ مأمورٌ بالطَّاعات ومنهيٌّ عن المحرَّمات في جميع الأوقات، ولكنَّه يتأكَّد الأمرُ بالعمل الصَّالح في آخِرِ العُمر وفي آخِر ساعةٍ من الأجل، ويتأكَّد النَّهيُ عن الذُّنوب في آخِر العُمر وفي آخر ساعةٍ من الأجَل؛ لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّما الأعمال بالخواتيم))[3]؛ رواه البخاريُّ من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه.

فمَنْ وفَّقه الله تعالى للعمل الصَّالح في آخِر عمره وفي آخِر ساعةٍ من الأجَل؛ فقد كتب الله له حسنَ الخاتمة، ومَنْ خذَله الله فختَم ساعةَ أجلِه بعمل شرٍّ وذنبٍ يُغضِب الربَّ؛ فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سوءٍ والعياذ بالله.

وقد حثَّنا الله تبارك وتعالى وأمرنا بالحرص على نَيْل الخاتمة الحسنة؛ فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آل عمران: 102].

والسَّعيُ لحُسن الخاتمة غايةُ الصَّالحين، وهِمَّة العباد المتَّقين، ورجاء الأبرار الخائفين؛ قال الله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [البقرة: 132]، وقال تعالى في وصف أُولي الألباب: (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ) [آل عمران: 193]، وقال تعالى عن التَّائبين: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِين) [الأعراف: 126]، وعن عبدالله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرَّحمن كقَلبٍ واحد، يصرِّفُه حيثُ يشاء)). ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((اللَّهمَّ مصرِّفَ القلوب، صرِّف قلوبَنا على طاعتك))[4]؛ رواه مسلمٌ.

فمَنْ وفَّقه الله لحُسن الخاتمة؛ فقد سَعِد سعادةً لا يشقى بعدها أبدًا، ولا كربَ عليه بعد ذلك التوفيق، ومَنْ خُتِم له بسوءِ خاتمةٍ؛ فقد خَسِر في دنياه وأُخْراه.

والصَّالحون تعظُم عنايَتهم بالأعمال الصَّالحة السَّوابِق للخاتمة، كما أنهم يجتهدون في طلب التوفيق للخاتمة الحسنة؛ فيُحسنون الأعمالَ، ويُحسنون الرجاءَ والظنَّ بالله تعالى، ويُسيئون الظَّنَّ بأنفسهم، كما قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة: 218].

ومَنْ صَدَق اللهَ في نيَّته وعمل بسنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم واتَّبع هَدْيَ أصحابه البَرَرَة؛ فقد جَرَت سنَّةُ الله تعالى أن يختِم له بخير، وأن يجعل عواقبَ أموره إلى خير؛ قال تعالى: (إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) [الكهف: 30]، وقال تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا) [طه: 112]، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: 143].

وأسبابُ التَّوفيق إلى حُسْن الخاتمة: النيَّةُ الصَّالحة والإخلاصُ لله؛ لأنَّ النيَّةَ والإخلاص شرطان للأعمال المقبولة.

ومن أسباب الخاتمة الحسنة: المحافظةُ على الصلوات جماعةً؛ ففي الحديث الشريف: ((مَنْ صلَّى البَرْدَيْن دخل الجنة))[5]؛ رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه والبَرْدان هما: الفجر والعصر، ومَنْ داوم عليهما وصلاَّهما؛ فهو بالقيام بغيرهما من الصَّلوات أولى.

ومن أسباب التَّوفيق لحسن الخاتمة: الإيمان والإصلاح؛ الإصلاح للنَّفس والإصلاح للغير، كما قال تعالى: (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون) [الأنعام: 48].

ومِن أسباب توفيق الله لحسن الخاتمة: تقوى الله في السرِّ والعلن، بامتثالِ أمره واجتناب نَهْيِه والدَّوام على ذلك، كما قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: 83]، وقال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [طه: 132].

ومِن أسباب التَّوفيق لحُسن الخاتمة: اجتنابُ الكبائر وعظائم الذُّنوب؛ قال الله تبارك وتعالى: (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيمًا) [النساء: 31].

ومن أسباب التَّوفيق لحسن الخاتمة: لزومُ هَدْي النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم واتِّباعُ طريق المهاجرين والأنصار والتَّابعينَ لهم رضي الله تعالى عنهم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: 21]، وقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 100].

ومن أسباب التوفيق لحسن الخاتمة: البُعْدُ عن ظلم النَّاس، وعدمُ البغي والعدوان عليهم في نفسٍ أو مالٍ أو عِرضٍ؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَنْ هَجَر ما حرَّم الله))[6]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((واتَّق دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجابٌ))؛ رواه البخاري وغيره[7]، وفي الحديث: ((ما من ذنبٍ أسرع من أن يعجِّل الله عقوبته من البغي وقطيعة الرَّحِم))[8].

ومِن أسباب التَّوفيق لحسن الخاتمة: الإحسانُ إلى الخَلْق، وكفُّ الشرِّ عنهم؛ قال الله تعالى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: 274].

وصفةُ السَّخاء وسماحةُ النَّفس مع الإسلام سببٌ للتَّوفيق لحسن الخاتمة؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((صنائعُ المعروف تقِي مصارعَ السُّوء))[9].

ومن أسباب حُسن الخاتمة: العافيةُ من البِدَع؛ فإنَّ ضررها كبيرٌ، وفسادها خطيرٌ، والبِدَعُ هي التي تُفسدُ القلوبَ، وتهدِم الدِّينَ، وتنقُضُ الإسلام عُروةً عروةً؛ قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: 69]، وهؤلاء المنعَمُ عليهم مبرَّؤون من البِدَع كلِّها.

ومن أسباب حسن الخاتمة: الدُّعاءُ بذلك للنَّفس؛ قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: 60]، وفي الحديث: ((لا يُنجي حذَرٌ مِن قَدَرٍ، والدُّعاء ينفع مما نزَلَ ومما لم ينزِل))[10].

ودُعاء المسلم لأخيه المسلم بحسن الخاتمة مستجابٌ بظَهْر الغَيْب، وفي الحديث: ((ما من مسلمٍ يدعو لأخيه بالغَيْب إلاَّ قال الملك: آمين، ولك بمثله))[11].

فاسعَوا رحمكم الله إلى تحصيل أسباب حسن الخاتمة ليوفِّقكم الله إلى ذلك، واحذروا أسبابَ سوء الخاتمة؛ فإنَّ الخاتمة السيِّئة هي المصيبةُ العظمى، والدَّاهيَة الكبرى، والكَسْر الذي لا ينجَبِر، والخسران المبين، والعياذ بالله من ذلك.

فقد كان السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم يخافون سوءَ الخاتمة أشدَّ الخوف؛ قال البخاريُّ في "صحيحه": "قال ابن أبي مُلَيْكَة: أدركتُ ثلاثينَ من الصَّحابة، كلُّهم يخاف النِّفاقَ على نفسه"[12]، وقال ابن رجب: "وكان سفيان الثوريُّ يشتدَّ قلقُه وخوفُه من السَّوابق والخواتم؛ فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا، ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلَبَ الإيمانَ عند الموت"[13]، وقال بعضُ السَّلف: "ما أبكى العيونَ ما أبكاها الكتابُ السَّابق"، وقد قيل: "إنَّ قلوبَ الأبرار معلَّقةٌ بالخواتيم؛ يقولون: بماذا يُختَم لنا؟ وقلوبُ المقرَّبين معلَّقةٌ بالسَّوابق؛ يقولون: ماذا سبَق لنا؟"، وكان مالك بن دينار - رحمه الله - يقوم ليلَه

ويقول: "يا ربِّ، قد علمتَ ساكنَ الجنَّة والنَّار؛ ففي أيِّ منزلٍ مالك؟"[14]. وكلام السَّلف في الخوف من سوء الخاتمة كثيرٌ.

ومَنْ وقف على أخبار المحتَضَرين عند الموت وشاهد بعضًا منهم؛ اشتدَّت رغبته في تحصيل أسباب حُسن الخاتمة؛ ليكون مع هؤلاء الموفَّقين لحسن الخاتمة؛ فقد شُوهِدَ بعضُهم وهو يقول: "مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنسٍ ولا جانٍّ"، وشُوهِدَ من المحتَضَرين مَنْ يَلْهَجُ بذِكْر الله وبـ"لا إله إلا الله"، ومَنْ كان آخِر كلامه من الدُّنيا لا إله إلا الله دخلَ الجنة، وشُوهِدَ بعضهم يتلو القرآنَ، وشُوهِدَ بعضُ المحتَضَرين يقسِّم مسائلَ الفرائض ويتكلَّم في مسائل العلم، وقال بعضُهم: "لا تخافوا عليَّ؛ فقد بُشِّرتُ بالجنَّة الساعةَ"! وقال بعضُ أهل العلم: "الخواتيمُ ميراثُ السَّوابق".

فكونوا عبادَ الله مع الموفَّقين؛ فمن سلك سبيلَهم حُشِرَ معهم، ولا تسلكوا سبُلَ الهالكين المخذولين الذين خُتِم لهم بخاتمةِ سوءٍ - والعياذ بالله.

قال عبدالعزيز بن أبي رَوَّادٍ: "حَضَرْتُ رجلاً عند الموت يُلقَّن: لا إلهَ إلا الله؛ فقال في آخِر ما قال هو كافِرٌ بها، ومات على ذلك، قال: فسألتُ عنه، فإذا هو مُدمِن خمرٍ، وقيل لآخَر عند الموت: قُلْ: لا إلهَ إلا الله؛ فقال: عشَرة بأحدَ عشر، وكان يتعامل بالرِّبا، وقيل لآخَر: اذكرِ الله، فقال: رضا الغلام فلان أحبُّ إليَّ من رضا الله، وكان يميل إلى الفاحشة، وقيل لآخَر: قلْ: لا إله إلا الله؛ فقال:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ♦♦♦ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مُنْجَابِ؟

وكان قد خدَع جاريةً تريد حمَّام مُنجاب؛ فأدخلها دارَه؛ لأنها كانت تُشبِه ذلك الحمَّامَ، يريد بها الفاحشةَ؛ فهام بها".

وقيل لآخَر: قل: لا إله إلا الله، فقال: سيجارة سيجارَة؛ لأنَّه كان يشرَب الدُّخان.

وأسباب سوء الخاتمة والعياذ بالله كثيرةٌ:

منها: ترك الفرائض من الصَّلوات وغيرها، وارتكاب المحرَّمات، وتَرْكُ الجُمَع والجماعات؛ فإنَّ الذُّنوبَ ربَّما غلَبت على الإنسان واستولَت على قلبه بحبِّها؛ فيأتي الموتُ وهو مصِرٌّ على المعصية؛ فيستولي عليه الشَّيطانُ عند الموت وهو في حالةِ ضَعْفٍ ودَهشةٍ وحَيْرَة؛ فينطِق بما أَلِفَه وغلب على حاله؛ فيُختَم له بسوءٍ، نعوذ بالله من ذلك.

ومن أسباب سوء الخاتمة: البِدَع التي لم يشرَعها الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم فالبِدْعةُ شُؤمٌ وشرٌّ على صاحبها وعلى الدِّين، وهي أعظم من الكبائر، وفي الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((يَرِدُ عليَّ أناسٌ من أمَّتي الحوضَ أعرِفهم؛ فتطردُهم الملائكة وتقول: إنَّك لا تدري ماذا أحدَثوا بعدكَ؛ فأقول: سُحقًا سُحقًا لمَنْ غيَّر بعدي))[15].

ومن أسباب سوء الخاتمة: ظُلم النَّاس والعدوان عليهم في الدَّم أو المال والعِرْض، وظُلمُ النَّفس بنوعٍ من أنواع الشِّرك بالله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: (إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [الأنعام: 21].

ومن أسباب سوء الخاتمة: الزُّهدُ في بَذْل المعروف، وعدَمُ نَفْع المسلمين، والزَّهْد في الدُّعاء فلَمْ يطلُبِ الخير؛ كما قال تبارك وتعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم) [التوبة: 67]، وقال تعالى: (أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) [الأحزاب: 19].

ومن أسباب سوء الخاتمة: الرُّكونُ إلى الدُّنيا وشهواتها وزُخْرُفِها، وعدمُ المبالاة بالآخِرة، وتقديم محبَّة الدُّنيا على محبَّة الآخِرة؛ قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يونس: 7 - 8].

ومن أسباب سوء الخاتمة: أمراضُ القلوب؛ من الكِبْر، والحسد، والحقد، والغِلّ، والعُجْب، واحتقار المسلمين، والغدر، والخيانة، والمَكْر، والخداع، والغشّ، وبُغض ما يحبُّ الله، وحبِّ ما يبغض الله تعالى؛ قال تعالى: (وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 87 - 89].

ومن أسباب سوء الخاتمة: عقوقُ الوالدَيْن وقطيعة الأرحام.

ومن أسباب سوء الخاتمة: الوصيَّة الظالمة المخالِفة للشَّرع الحنيف.

قال الله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) [البقرة: 281].

ومن أسباب التوفيق لحسن الخاتمة الإيمان والإصلاح، الإصلاح للنفس، والإصلاح للغير، كما قال-تعالى-: {فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} الأنعام:48.

ومنها تقوى الله في السر والعلن، بامتثال أمره واجتناب نهيه والدوام على ذلك، كما قال-تعالى-: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}القصص:83، وقال-تعالى-:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} طه:132.

ومِنها اجتناب الكبائر وعظائم الذنوب، قال الله-تبارك وتعالى-: {إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا}النساء:31.

ومنها لزوم هدي النبي-صلى الله عليه وسلم-، واتباع طريق المهاجرين والأنصار والتابعين لهم-رضي الله تعالى عنهم-، قال الله-تعالى-: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} الأحزاب:21، وقال-تعالى-: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}التوبة:100.

ومِن الأسباب البعد عن ظلم الناس وعدم البغي والعدوان عليهم في نفس، أو مال، أو عرض، ففي الحديث: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما حرم الله)، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (واتَّق دعوةَ المظلوم؛ فإنّه ليس بينها وبين الله حِجاب)

ومن أسباب التوفيق لحسن الخاتمة الإحسان إلى الخلق وكف الشر عنهم، قال الله-تعالى-: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة:274.

ومن أسباب حسن الخاتمة الدعاء بذلك للنفس، قال-تعالى-: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر:60، ودُعاء المسلم لأخيه المسلم بحسن الخاتمة مستجاب بظهر الغيب، وفي الحديث: (ما من مسلم يدعو لأخيه بالغيب إلا قال الملك: آمين، ولك بمثله).

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى وراقبوه حق المراقبة فإن اليوم عمل بلا حساب، وغداً حساب بلا عمل، واسعوا إلى تحصيل أسباب حسن الخاتمة فإنها بداية الخير والسعادة، فإن العبد المؤمن يبشر بالجنة عند موته. اللهم إنا نسألك حسن الخامة، اللهم اختم لنا بالشهادة في سبيلك، اللهم وفقنا للعمل الصالح الذي يكون سبباً في توفيقنا لحسن الخاتمة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذِّكْر الحكيم، ونفعنا بهَدْيِ سيِّد المرسَلين وقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ؛ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله معزِّ مَنْ أطاعه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَنْ خالف أمرَه وعصاه، أحمده ربِّي وأشكره على ما أسبغ من نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، لا إلهَ ولا ربَّ سواه، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله اصطفاه مولاه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمَّد، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله تعالى بلزوم طاعاته ومجانبة محرَّماته؛ تنجوا من عذابه، وتفوزوا بجنَّاته؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [لقمان: 33].

وعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((والذي نفسي بيده، إنَّ أحدَكم ليعمل بعملِ أهل الجنَّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبِق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخلها، وإنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل النَّار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبِق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيدخلها))؛ رواه البخاريُّ ومسلمٌ[16].

عبادَ الله:

اعملوا الصَّالحات، وجانبوا المحرَّمات، واجتهدوا في تحصيل أسباب حُسن الخاتمة، واحذَروا أسبابَ سوء الخاتمة، واجتهدوا فيما يُرضي ربَّكم؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له، وأحسنوا العمل، وأحسنوا الظنَّ بربِّكم، ولا يُسِئ المرء العملَ ويتمنَّى على الله الأماني، وفي الحديث: ((مَنْ أكثر من قول: اللَّهمَّ أَحْسِنْ عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخِرة؛ مات قبل أن يصيبَه البلاء))[17].

عبادَ الله:

إنَّ الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه فقال تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: 56]، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً؛ صلَّى الله عليه بها عشرًا)).

فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأوَّلين وإمام المرسَلين.

اللهم صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، كما صلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ...

[1] صحيح مسلم: كتاب البر (2577).

[2] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي (1)، صحيح مسلم: كتاب الإمارة (1907).

[3] صحيح البخاري: كتاب القدر (6607).

[4] صحيح مسلم: كتاب القدر (2654).

[5] صحيح البخاري: كتاب الصلاة (574)، صحيح مسلم: كتاب المساجد (635).

[6] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (10) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[7] صحيح البخاري: كتاب المظالم (2448)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (19).

[8] أخرجه أحمد (5/ 36)، وأبو داود في الأدب (4902)، والترمذي في صفة القيامة (2511)، وابن ماجه في الزهد (4211) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان (455، 456)، والحاكم (2/ 356)، ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة (918).

[9] أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 124) من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه، ورمز له السيوطي بالصحة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3795). وفي الباب عن عدد من الصحابة منهم: أبو أمامة ومعاوية بن حيدة وأبو سعيد وأم سلمة رضي الله عنهم. انظر: مسند الشهاب (100، 101، 102)، ومجمع الزوائد (3/ 155، 8/ 193-194).

[10] أخرجه أحمد (5/ 234)، والطبراني في الكبير (20/ 201) من طريق إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه. قال الهيثمي في المجمع (10/ 146): "شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفة"، وهذا منها. وله شاهد من حديث عائشة عند البزار (2165- كشف الأستار)، والطبراني في الدعاء (133)، والحاكم (1/ 492)، قال الهيثمي في المجمع (10/ 146): "وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات"، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (1014). وشاهد ثان من حديث ابن عمر عند الترمذي في الدعوات (3548)، وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو متفق على ضعفه، قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه". وله شواهد أخرى في سند كلٍّ منها مقال.

[11] أخرجه مسلم في الذكر (2732) عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه.

[12] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

[13] جامع العلوم والحكم (ص57).

[14] أخرجه أحمد في الزهد (ص321)، وانظر: صفة الصفوة (3/ 285)، وجامع العلوم والحكم (ص57).

[15] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق (6585)، ومسلم في الفضائل (2291) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[16] صحيح البخاري: كتاب القدر (6594)، صحيح مسلم: كتاب القدر (2643).

[17] أخرجه الطبراني في الكبير (2/ 33) عن بسر بن أرطاة رضي الله عنه بمعناه، وفي إسناده رجل مجهول.

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق لوزارة الأوقاف

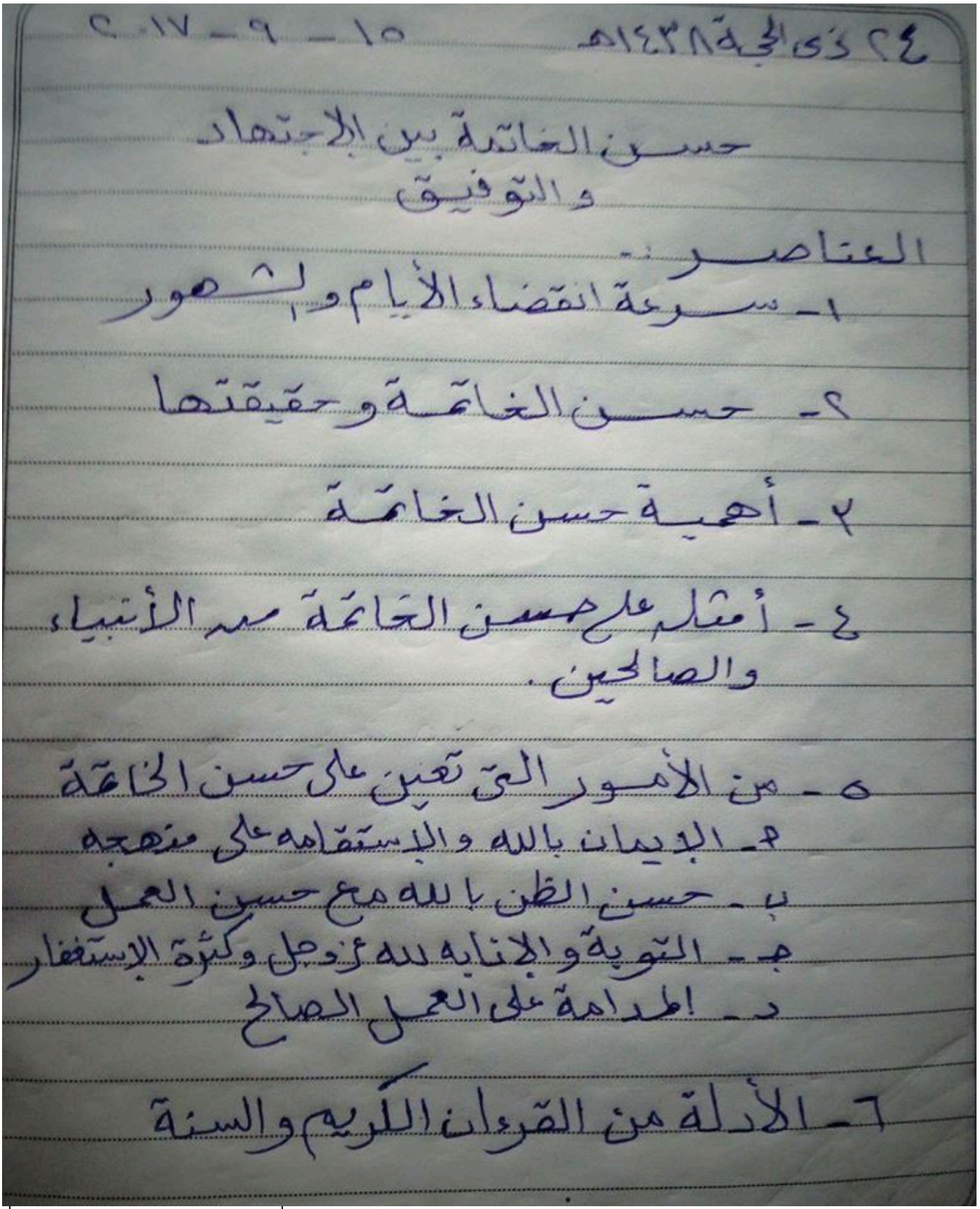

٢٤ ذي الحجة ١٤٣٨هـ ١٥ - ٩ - ٢٠١٧م

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق

العناصر:

١- سرعة انقضاء الأيام والشهور

٢- حسن الخاتمة وحقيقتها

٣- أهمية حسن الخاتمة

٤- أمثلة على حسن الخاتمة من الأنبياء والصالحين.

٥- من الأمور التي تعين على حسن الخاتمة

أ- الإيمان بالله والاستقامة على منهجه

ب- حسن الظن بالله مع حسن العمل

ج- التوبة والإنابة لله عز وجل وكثرة الاستغفار

د- المداومة على العمل الصالح

٦- الأدلة من القرآن الكريم والسنة

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

٢٤ من ذي الحجة ١٤٣٨هـ
١٥ من سبتمبر ٢٠١٧م

(١)

حسن الخاتمة بين الاجتهاد والتوفيق

الحمد لله ربِّ العالمين، القائلِ في كتابهِ الكريم:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَّنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن المتأمل والمتدبر لسنة الله (عز وجل) في خلقه يرى سرعة انقضاء الأيام والشهور والسنين ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي ذلك عبر لمن نظر وتفكر واعتبر ، يقول سبحانه:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}.

ومن الأمور التي يجب أن يحرص عليها العبد حسن الخاتمة ، وحقيقتها : أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى، وييسر له سبل التوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.

ولما كان الإنسان في الدنيا مرهونًا بعمله ، كان التوفيق للعمل الصالح علامة على حسن الخاتمة ،كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ) ، وفي راية : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ)؛ لذا يجب على كل إنسان أن يجتهد ليحسن خاتمته ، وأن يستعد للقاء الله (عز وجل) بالعمل الصالح ، كما وجهنا القرآن الكريم بقوله سبحانه: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

(٢)

للعمل الصالح ثم يقبضه عليه ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ)، فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟، قال: (يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ) ، وفي رواية : (إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسلَهُ) ، قِيلَ: وَمَا عَسلَهُ ؟ ، قَال: (يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ) ، فالعبرة في الأعمال بخواتيمها ، فمن وفقه الله سبحانه وتعالى للطاعة والعبادة ، وداوم على فعل الخير ختم له بحسن الخاتمة ، وكان من السعداء الفائزين بالجنة ، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}.

وأما من عصى الله (عز وجل) وخالف أوامره ، وانغمس في الشهوات والأهواء كان من الأشقياء الخاسرين ، وكانت خاتمته خاتمة سوء ، كما قال تعالى: {...وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}، وقال تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}.

لذلك دعانا ربنا تبارك وتعالى إلى ضرورة السعي الجاد والعمل المثمر لتحقيق حسن الخاتمة ، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، أَيْ : حَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَالِ صِحَّتِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ لِتَمُوتُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَى عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ أَنَّهُ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِث عَلَيْهِ ، كالشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، قال (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ

(٣)

أَحَدٌ في سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيلِهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعُبُ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ).

وكذلك من مات حاجًّا بُعِثَ يوم القيامة مُلبيًا ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، فَمَاتَ ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ ، وَلا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا) ، وهكذا في سائر أعمال الخير ، فلينظر كل واحد منَّا في الحال التي يرجو أن يُبعث عليها ، ولو فكر كل واحد منَّا في ذلك جيدًا فيما يحب أن يرى نفسه عليه وما لا يحب أن يرى نفسه عليه عند لقاء الله (عز وجل) يوم القيامة لما أقدم على عمل سيء أو منكر أو قبيح قط ، ولا اجتهد أن يكون على الصورة التي يحب أن يلقى الله (عز وجل) عليها.

ولأهميةِ هذهِ اللحظةِ الفارقةِ فِي حياةِ الإنسانِ كانَ الأنبياءُ (عليهم السلام) يدعون أتباعهم ويوصونهم بالحرص على حسن الخاتمة ، فهذا إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام) قال الله عنهما:{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، وهذا الكريم يوسف (عليه السلام) يطلب من الله حسن الخاتمة ، فيقول:{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.

(٤)

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) مع أن الله (عز وجل) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) كان حريصًا على توجيه أمته إلى حسن الخاتمة ، فكان يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَقُولَ: (اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ) ، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ).

وكَانَ عثمانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تُبَلَّ لِحْيَتُهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي ، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ ، ويقول سهل التستري (رحمه الله): خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة ، وعند كل حركة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}.

وليس الأمر في حسن الخاتمة مقصورًا على العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ودعاء، وذكر، وقراءة قرآن فحسب، إنما يتجاوز ذلك إلى كل عمل صالح يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله (عز وجل).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

إن حسن الخاتمة توفيق من الله تعالى ، وهي رجاء الصالحين ، ومن الأمور التي تعين على حسن الخاتمة:

(٥)

* **الإيمان بالله عزّ وجلّ ، والاستقامة على منهجه وطريقه:** قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند الاحتضار ، وفي القبور ، وعند البعث منها

* **حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ مع حسن العمل،** فإن الله (عز وجل) عند ظن عبده به، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي....) ، وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته بثلاث يقول: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ) ، فعلى العبد أن يحذر من سوء الظن بالله (عز وجل) واليأس من رحمته ، وينبغي أن يكون قلبه معلقًا بالرجاء في الله سبحانه وتعالى.

على أن حسن الظن لابد وأن يصحبه حسن العمل ، فعن الحسن (رضي الله عنه) قال: " لَيْسَ الإيمانُ بالتَّمَنِّى ، وَلكنْ مَا وَقَرَ فى الْقَلْب وَصدَّقَهُ الْعَمَلُ ، إن قَوْماً أَلْهَتْهُمْ أمَانىُّ المغْفرَة حَتَّى خَرَجُوا منَ الدُّنْيَا وَلاَ حَسَنَةَ لَهُمْ ، وَقَالُوا : نَحْنُ نُحْسِنُ الظّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَكَذَبُوا ، لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لأحْسَنُوا الْعَمَلَ" ، وذلك أن الأمل بلا عمل أمل أعرج فارغ لا طائل منه.

* **التوبة والإنابة لله عزّ وجلّ وكثرة الاستغفار،** قال تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

(٧)

أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم وأجهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى محبة الحق جل جلاله.

فاللهم اجعل خيرَ أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك ، واجعلنا مع الذين أنعمتَ عليهم في جنتك وجوارك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

رابط جميع الخطب السابقة والحالية واللاحقة بإذن الله

http://eslamiatt.blogspot.com.eg

نسألكم الدعاء

01098095854

****

الشيخ احمد أبو عيد